المجلد الثالث

من صفحة 130 – 197

وجوه أهل خراسان، واستحثه رسول يوسف فأجازه. ثم سار واستخلف على خراسان عصمة بن عَبْد الله الأسدي، وعلى شاش موسى بن ورقاء، وعلى سمرقند حسان ابن من أهل الصغانيان، وعلى آمد مقاتل بن عليّ الصغدي وأسر إليهم أن يداخلوا الترك في المسير إلى خراسان ليرجع إليهم. وبينا هو في طريقه إلى العراق ببيهق لقيه مولى لبني ليث، وأخبره بقتل الوليد والفتنة بالشام. وأن منصور بن جمهور قدم العراق وهرب يوسف بن عمر فرجع الناس.

مقتل يحيي بن زياد:

كان يحيى بن زياد سار بعد قتل أبيه وسكون الطلب عنه كما مر فأقام عنه الحريش بن عمرو ومروان في بلخ. ولما ولي الوليد كتب إلى نصر بأن يأخذه من عند الحريش، فأحضر الحريش وطالبه بيحيى فأنكر، فضربه ستمائة سوط، فجاء ابنه قُرَيْش ودله على يحيى فحبسه. وكتب إلى الوليد فأمره أن يخلي سبيله وسبيل أصحابه. فأطلقه نصر وأمره أن يلحق بالوليد، فسار وأقام بسرخس، فكتب نصر إلى عَبْد الله بن قيس بن عياد يخرجه عنها، فأخرجه إلى بيهق، وخاف يحيى بن يوسف بن عمر فسار إلى نيسابور وبها عمر بن زرارة وكان مع يحيى سبعون رجلاً، ولقوا دواب وأدركهم الإعياء فأخذوها بالثمن. وكتب عمر بن زرارة بذلك إلى نصر، فكتب إليه يأمره بحربهم. فحاربهم في عشرة آلاف فهزموه وقتلوه، ومروا بهراة فلم يعرضوا لها. وسرح نصر بن سيار مسلم بن أحور المازني إليهم، فلحقهم بالجوزجان فقاتلهم قتالاً شديداً وأصيب يحيى بسهم في جبهته فمات.وقتل أصحابه جميعاً وبعثوا برأسه إلى الوليد، وصلب بالجوزجان. وكتب الوليد إلى يوسف بن عمر بأن يحرق شلو زيد، فأحرقه وذراه لي الفرات.ولم يزل يحيى مصلوباً بالجوزجان حتى استولى أبو مسلم على خراسان فدفنه ونظر في الديوان اسماء من حضر لقتله فمن كان حياً قتله، ومن كان ميتاً خلفه في أهله بسوء.

مقتل خالد بن عَبْد اللّه القسري:

قد تقدم لنا ولاية يوسف بن عمر على العراق، وأنه حبس خالداً أصحاب العراق

وخراسان قبله، فأقام بحبسه في الحيرة ثمانية عشر شهراً مع أخيه إسمعيل وابنه يزيد بن خالد والمنذر ابن أخيه أسد. واستأذن هشاماً في عذابه فأذن له على أنه إن هلك قتل يوسف به فعذبه. ثم أمر هشام بإطلاقه سنة إحدى وعشرين، فأتى إلى قرية بإزاء الرصافة فأقام بها، حتى خرج زيد وقتل وانقضى أمره، فسعى يوسف بخالد عند هشام بأنه الذي داخل زيداً في الخروج، فرد هشام سعايته ووبخ رسوله وقال: لسنا نتهم خالداً في طاعة. وسار خالد إلى الصائفة، وأنزل أهله دمشق وعليها كلثوم بن عياض القشيري، وكان يبغض خالداً. فظهر في دمشق حريق في ليال، فكتب كلثوم إلى هشام بأن موالي خالد يريدون الوثوب إلى بيت المال، ويتطرقون إلى ذلك بالحريق كل ليلة في البلد. فكتب إليه هشام بحبس الكبير منهم والصغير والموالي، فحبسهم ثم ظهر على صاحب الحريق وأصحابه. وكتب بهم الوليد بن عَبْد الرحمن عامل الخراج، ولم يذكر فيهم أحداً من آل خالد ومواليه، فكتب هشام إلى كلثوم يوبخه ويأمره بإطلاق آل خالد وترك الموالي. فشفع فيهم خالد عند مقدمه من الصائفة، فلما قدم دخل منزله وأذّن للناس فاجتمعوا ببابه فوّبخهم وقال: إن هشاماً يسوقهن إلى الحبس كل يوم. ثم قال: خرجت غازياً سامعاً مطيعاً فحبس أهلي مع أهل الجرائم كما يفعل بالمشركين. ولم يغير ذلك أحد منكم، أخفتم القتل؟ أخافكم الله. والله ليكفن عني هشام، أو لاعودن إلى عراقي الهوى، شامي الدار، حجازي الأصل، يعني محمد بن علي بن عَبْد الله بن عباس.وبلغ ذلك هشاماً فقال: خرف أبو الهيثم. ثم تتابعت كتب يوسف بن عمر إلى هشام بطلب يزيد بن خالد، فأرسل إلى كلثوم بإنفاذه إليه، فهرب يزيد فطلبه كلثوم من خالد وحبسه فيه، فكتب إليه هشام بتخليته ووبخه اهـ. ولما ولي الوليد بن يزيد استقدم خالداً وقال: أين ابنك؟ قال: هرب من هشام، وكنّا نراه عندك حتى استخلفك الله فلم نره، وطلبناه ببلاد قومه من الشراة فقال: ولكن خلفته طلباً للفتنة فقال: إنا أهل بيت طاعة. فقال لتأتينى به أو لازهقن، نفسك. فقال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه. فأمر الوليد بضربه. ولما قدم يوسف بن عمر من العراق بالأموال اشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف فقال له الوليد: إن

يوسف يشتريك بكذا فاضمنها لي قبل أن أدفعك إليه. فقال: ما عهدت العرب تباع! والله لو سألتني عوداً ما ضمنته. فدفعه إلى يوسف، فألبسه عباءة وحمله على غير وطاء، وعذبه عذاباً شديداً وهو لا يكلمه. ثم حمله إلى الكوفة فاشتد في عذابه، ثم قتله ودفنه في عباءة، يقال إنه قتله بشيء وضعه على وجهه، وقيل وضع على رجليه الأعواد وقام عليها الرجال حتى تكسرت قدماه. وذلك في المحرم سنة ست وعشرين ومائة.

مقتل الوليد وبيعة يزيد:

ولما ولي الوليد لم يقلع عما كان عليه من الهوى والمجون. حتى نسب إليه في ذلك كثير من الشنائع. مثل رمية المصحف بالسهام، حين استفتح فوقع على قوله: {وخاب كل جبار عنيد}. وينشدون له في ذلك بيتين تركتهما لشناعة مغزاهما. ولقد ساءت القالة فيه كثيراً، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا: إنها من شناعات الأعداء، ألصقوها به. قال المدائني دخل ابن الغمر بن يزيد على الرشيد فسأله: ممن أنت؟ فقال: من قُرَيْش. قال: من أيها ؟ فوجم، فقال: قل وأنت آمن ولو أنك مروان. فقال: أنا ابن الغمر بن يزيد. فقال: رحم الله الوليد ولعن يزيد الناقص، فإنه قتل خليفة مجمعاً عليه، إرفع حوائجك فرفعها وقضاها.وقال شبيب بن شبة كنا جلوساً عند المهدي فذكر الوليد، فقال المهدي: كان زنديقاً، فقام ابن علانة الفقيه فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل أعدل من أن يولي خلافه النبوَّة وأمر الأمة زنديقاً، لقد أخبرني عنه من كان يشهده في ملاعبه وشربه، ويراه في طهارته وصلاته، فكان إذا حضرت الصلاة، يطرح الثياب التي عليه المصبية المصبغة. ثم يتوضأ فيحسن الوضوء، ويؤتى بثياب بيض نظيفة فيلبسها ويشتغل بربه. أترى هذا فعل من لا يؤمن بالله؟ فقال المهدي: بارك الله عليك يا ابن علانة، وإنما كان الرجل محسوداً في خلاله، ومزاحماً بكبار عشيرة بيته من بني عمومته مع لهوٍ كان يصاحبه أوجد لهم به السبيل على نفسه.وكان من خلاله قرض الشعر الوثيق ونظم الكلام

البليغ. قال يوماً لهشام يعزيه في مسلمة أخيه: إن عقبى من بقي لحوق من مضى، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى، واختل الثغر فهوى. وعلى أثر من سلف يمضي من خلف، فتزودوا فإن خير الزاد التقوى. فأعرض هشام وسكت القوم.وأمَّا حكاية مقتله فإنه لمّا تعرض له بنو عمه، ونالوا من عرضه، أخذ في مكافأتهم. فضرب سليمان ابن عمه هشام مائة سوط، وحلقه وغربه إلى معان من أرض الشام، فحبسه إلى آخر دولته. وحبس أخاه يزيد بن هشام، وفرق بين ابن الوليد وبين امرأته، وحبس عدةً من ولد الوليد، فرموه بالفسق والكفر واستباحة نساء أبيه. وخوفوا بني أُمَيَّة منه بأنه اتخذ ميتة جامعة لهم، وطعنوا عليه في تولية إبنيه الحكم وعثمان العهد مع صغرهما. وكان أشدهم عليه في ذلك يزيد بن الوليد، لأنه كان يتنسك فكان الناس إلى قوله أميل. ثم فسدت اليمامة عليه بما كان منه لخالد القسري. وقالوا: إنما حبسه ونكبه لامتناعه من بيعة ولديه. ثم فسدت عليه قضاعة، وكان اليمن وقضاعة أكثر جند الشام. واستعظموا منه ما كان من بيعة خالد ليوسف بن عمر، وصنعوا على لسان الوليد قصيدة معيرة اليمنية بشأن خالد، فازداد واختفى. وأتوا إلى يزيد بن الوليد بن عَبْد الملك فأرادوه على البيعة. وشاور عمر بن زيد الحكمي فقال: شاور أخاك العباس وإلا فأظهر إنه قد بايعك، فإن الناس له أطوع. فشاور العباس فنهاه عن ذلك فلم ينته، ودعا الناس سراً، وكان بالبادية. وبلغ الخبر مروان بأرمينية فكتب إلى سعيد بن عَبْد الملك يعظم عليه الأمر ويحذره الفتنة ويذكر له أمر يزيد، فأعظم ذلك سعيد، وبعث بالكتاب إلى العباس، فتهدد أخاه يزيد فكتمه فصدقه.ولما اجتمع ليزيد أمره أقبل إلى دمشق لأربع ليال متنكراً، معه سبعة نفر على الحمر. ودخل دمشق ليلاً وقد بايع له أكثر أهلها سراً، وأهل المزة. وكان على دمشق عَبْد الملك بن محمد بن الحجاج، فاستوياها فنزل قطنا، واستخلف عليها إبنه محمداً. وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عَبْد الله السلمي. ونمي الخبر إليهم ا فكذباه، وتواعد بزيد مع أصحابه بعد المغرب بباب الفراديس. ثم دخلوا المسجد فصلوا العتمة، ولما قضوا الصلاة جاء حرس المسجد لإخراجهم فوثبوا عليهم، ومضى يزيد بن عنبسة إلى يزيد بن الوليد، فجاء به إلى المسجد في زهاء م ائتين وخمسين، وطرقوا باب المقصورة، ف أدخلهم الخادم، فأخذوا أبا العاج وهو سكران

وخزان بيت المال وبعث عن محمد بن عَبْد الملك فأخذوه وأخذوا سلاحاً كثيراً كان بالمسجد، وأصبح الناس من الغد من النواحي القريبة متسائلين للبيعة أهل المزة والسكاسك وأهل دارا. وعيسى بن شيب الثعلبي في أهل درهة وحرستا، وحميد بن حبيب اللخمي في أهل دمرعران، وأهل حرش والحديثة وديرٍ كاوربعي بن هشام الحرثي في جماعة من عر وسلامان. ويعقوب بن عمير بن هانىء العبسي وجهينة ومواليهم. ثم بعث عَبْد الرحمن بن مصادي في مائتي فارس، فجاء بعبد الملك بن محمد بن الحجاج من قصره على الأمان. ثم جهز يزيد الجيش إلى الوليد بمكانه من البادية مع عَبْد العزيز بن الحجاج بن عَبْد الملك، ومنصور بن جمهور. وقد كان الوليد لمّا بلغه الخبر بعث عَبْد الله بن يزيد بن معاوية إلى دمشق، فأقام بطريقه قليلاً. ثم بايع ليزيد، وأشار على الوليد أصحابه أن يلحق بحمص فيتحصن بها. قال له ذلك يزيد بن خالد بن يزيد، وخالفه عَبْد الله بن عنبسة. وقال: ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره وحرمه قبل أن يقاتل. فسار إلى قصر النعمان بن بشير، ومعه أربعون من ولد الضحاك وغيره. وجاء كتاب العباس بن الوليد بأنه قادم عليه، وقاتلهم عَبْد العزيز ومنصور بعد أن بعث إليهم زياد بن حصين الكلبي يدعوهم إلى الكتاب والسنة. فقتله أصحاب الوليد واشتدّ القتال بينهم، وبعث عَبْد العزيز بن منصور بن جمهور لاعتراض العباس بن الوليد أن يأتي بالوليد. فجاء به كرهاً إلى عَبْد العزيز، وأرسل الوليد إلى عَبْد العزيز بخمسين ألف دينار وولاية حمص ما بقي على أن ينصرف عنه فأبى. ثم قاتل قتالاً شديداً حتى سمع النداء بقتله وسبه من جوانب الحومة، فدخل القصر فأغلق الباب، وطلب الكلام من أعلى القصر، فكلمه يزيد بن عنبسة السكسكي فذكره بحرمه وفعله فيهم. فقال ابن عنبسة: إنا ما ننقم عليك في أنفسنا، وإنما ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله، وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك، واستخفافك بأمر الله. قال : حسبك الله يا أخا السكاسك ! فلعمري لقد أكثرت وأغرقت، وإن فيما أحل الله سعة عما ذكرت. ثم رجع إلى الدار فجلس يقرأ في المصحف وقال: يوم كيوم عثمان فتسوّروا عليه، وأخذ يزيد بن عنبسة بيده يقيه لا يريد قتله، وإذا بمنصور بن جمهور في جماعة معه ضربوه واجتزوا رأسه، فساروا به إلى يزيد فأمر بنصبه.فتلطّف له يزيد بن فروة مولى

بني مرّة في المنع من ذلك، وقال: هذا ابن عمك وخليفة، وإنما تنصب رؤوس الخـوارج، ولا آمـن أن يتعصـب لـه أهـل بيتـه، فلـم يجبـه، وأطـافه بدمشق على رمح، ثم دفع إلى أخيه سـليمان بـن يزيـد وكـان معهـم عليـه. وكان قتله آخر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين لسنتين وثلاثة أشـهر مـن بيعته. ولما قتل خطب الناس يزيد فذمّه وثلبه، وإنه إنما قتله من أجل ذلك. ثم وعدهم بحسن الظفـر والاقتصـار عـن النفقـة فـي غيـر حاجـاتهم، وسـد الثغور والعدل في العطاء والأرزاق ورفع الحجاب، وإلا فلكم ما شـئتم مـن الخلع. وكان يسمى الناقص لأنه نقص الزيادة التي زادها الوليد في أعطيات الناس وهي عشرة عشرة. وردّ العطاء كمـا كـان أيـام هشـام، وبـايع لأخيـه إبراهيم بالعهد ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عَبْد الملك، حملـه علـى ذلك أصحابه القدرية لمرض طرقه .

ولما قتل الوليد، وكان قد حبس سليمان ابن عمه هشام بعمان، خرج سليمان من الحبس وأخذ ما كان هناك من الأموال ونقله إلى دمشق. ثم بلغ خبر مقتله إلى حمص، وأن العباس بن الوليد أعان على قتله، فانتقضوا وهدموا دار العباس وسبوها، وطلبوه فلحق بأخيه يزيد. وكاتبوا الأجناد في الطلب بدم يزيد، وأمروا عليهم مروان بن عَبْد الله بن عَبْد الملك، ومعاوية بن يزيد بن حصين بن نمير، وراسلهم يزيد فطردوا رسوله، فبعث أخاه مسروراً في الجيش فنزل حّوارين. ثم جاء سليمان بن هشام من فرد عليه ما أخذ الوليد من أموالهم، وبعث على الجيش وأمر أخاه مسروراً بالطاعة. واعتزم أهل حمص على المسير إلى دمشق، فقال لهم مروان: ليس من الرأي أن تتركوا خلفكم هذا الجيش وإنما نقاتله قبل، فيكون ما بعده أهون علينا. فقال لهم السميط بن ثابت إنما يريد خلافكم وإنما هواه مع يزيد والقدرية، فقتلوه وولّوا عليهم محمداً السفياني وقصدوا دمشق، فاعترضهم ابن

هشام بغدرا فقاتلهم قتالاً شديداً. وبعث يزيد عَبْد العزيز بن الحجاج بن عَبْد الملك في ثلاثة آلاف إلى ثنية العقاب وهشام بن مضاد في ألف وخمسمائة إلى عقبة السلامية. وبينما سالم يقاتلهم إذ أقبلت عساكر من ثنية العقاب، فانهزم أهل حمص، ونادى يزيد بن خالد بن عَبْد الله القسري: الله الله على قومك يا سليمان. فكف الناس عنهم وبايعوا ليزيد. وأخذ أبا محمد السفياني ويزيد بن خالد بن يزيد وبعثهما إلى يزيد فحبسهما اهـ. واستعمل على حمص معاوية بن يزيد بن الحصين، وكان لمّا قتل الوليد وثب أهل فلسطين على عاملهم سعيد بن عَبْد الملك فطردوه، وتولى منهم سعيد وضبعان إبنا روح، وكان ولد سليمان ينزلون فلسطين، فأحضروا يزيد بن سليمان وولّوه عليهم، وبلغ ذلك أهل الأردن، فولوا عليهم محمد بن عَبْد الملك. وبعث يزيد سليمان بن هشام في أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفياني على ثمانين ألفاً، وبعث إلى إبني روح بالإحسان والولاية، فرجعا بأهل فلسطين. وقدّم سليمان عسكراً من خمسة آلاف إلى طبرية فنهبوا القرى والضياع، وخشي أهل طبرية على من وراءهم، فانتهبوا يزيد بن سليمان ومحمد بن عَبْد الملك ونزلوا بمنازلهم، فافترقت جموع الأردن وفلسطين. وسار سليمان بن هشام، ولحقه أهل الأردن فبايعوا ليزيد، وسار إلى طبرية والرملة وأخذ على أهلهما البيعة ليزيد، وولّى على فلسطين ضبعان بن روح، وعلى الأردن إبراهيم بى الوليد.

ولاية منصور بن جمهور علي العراق ثم ولاية عَبْد الله بن عمر.

لمّا ولي يزيد استعمل منصور بن جمهور على العراق وخراسان، ولم يكن من أهل الدين، وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانية، وحنقاً على يوسف بقتله خالداً القسري. ولما بلغ يوسف قتل الوليد ارتاب في أمره، وحبس اليمانيّة لمّا تجتمع المضرية عليه فلم ير عندهم ما يحب، فأطلق اليمانيّة. وأقبل المنصور وكتب من عين البقر إلى قوّاد الشام في الحيرة بأخذ يوسف وعماله، فأظهر يوسف الطاعة. ولما قرب منصور

دخل دار عمر بن محمد بن سعيد بن العاص، ولحق منها بالشام سَّراً، وبعث يزيد بن الوليد خمسين فارساً لتلقيه. فلما أحس بهم هرب واختفى، ووجد بين النساء فأخذوه وجاؤا به إلى يزيد، فحبسه مع إبني الوليد، حتى قتلهم مولى ليزيد بن خالد القسري. ولما دخل منصور بن جمهور الكوفة لأيام خلت من رجب، أفاض العطاء وأطلق من كان في السجون من العمال وأهل الخراج، واستعمل أخاه على الري وخراسان، فسار لذلك فامتنع نصر بن سيار من تسليم خراسان له. ثم عزل يزيد منصور بن جمهور لشهرين من ولايته، وولّى على العراق عَبْد الله بن عمر بن عَبْد العزيز وقال: سر إلى أهل العراق، فإن أهله يميلون إلى أبيك. فسار وانقاد له أهل الشام، وسلم إليه منصور العمل، وانصرف إلى الشام. وبعث عَبْد الله العمّال على الجهات، واستعمل عمر بن الغضبان بن القبعثرا على الشرطة وخراج السواد والمحاسبات، وكتب إلى نصر بن سيّار بعهده على خراسان.

انتقاض أهل اليمامة:

ولما قتل الوليد كان عليّ بن المهاجر على اليمامة عاملاً ليوسف بن عمر، فجمع له المهير بر سليمان بن هلال من بني الدول بن خولة. وسار إليه وهو في قصره بقاع هجر فالتقوا وانهزم عليّ، وقتل ناس من أصحابه، وهرب إلى المدينة. وملك المهير اليمامة، ثم مات. واستخلف عليها عَبْد الله بن النعمان من بني قيس بن ثعلبة من الدول، فبعث المندلب بن إدريس الحنفي على الفلج قرية من قرى بني عامر بن صعصعة، فجمع له بني كعب بن ربيعة بن عامر، وبني عمير، فقتلوا المندلب وأكثر أصحابه. فجمع عَبْد الله ابن النعمان جموعاً من حنيفة وغيرها، وغزا الفلج وهزم بني عقيل وبني بشير وبني جعدة وقتل أكثرهم. ثم اجتمعوا ومعهم نمير فلقوا بعض حنيفة بالصحراء فقتلوهم وسلبوا نساءهم، ثم جمع عمر بن الوازع الحنفي الجموع وقال: لست بدون عَبْد الله بن النعمان، وهذه فترة من السلطان. وأغار وامتلأت يداه من الغنائم، وأقبل ومن معه وأقبلت بنو عامر، والتقوا فانهزم بنو حنيفة ومات أكثرهم من العطش. ورجع بنو عامر بالأسرى والنساء، ولحق عمر بن الوازع باليمامة. ثم جمع

عبيد الله بن مسلم الحنفي جمعاً وأغار على قشير وعكل فقتل منهم عشرين، وسمى المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة والياً على اليمامة من قبل أبيه حتى ولي العراق لمروان، فتعرض المثنى لبني عامر وضرب عدة من بني حنيفة وحلقهم. ثم سكنت البلاد، ولم يزل عبيد الله بن مسلم الحنفي مستخفياً، حتى قدم كسرى بن عبيد الله الهاشمي والياً على العامة لبني العباس ودل عليه فقتله.

اختلاف أهل خراسان:

ولما قتل الوليد وقدم على نصر عهد خراسان من عَبْد الله بن عمر بن عَبْد العزيزصاحب العراق، انتقض عليه جديع بن علي الكرماني، وهو أزدي. وإنما سمي الكرماني لأنه ولد بكرمان، وقال لأصحابه هذه فتنة فانظروا لأموركم رجلاً، فقالوا له: أنت ! وولّوه. وكان الكرماني قد أحسن إلى نصر في ولاية أسد بن عَبْد الله، فلما ولى نصر عزله عن الرياسة بغيره، فتباعد ما بينهما. وأكثر على نصر أصحابه في أمر الكرماني، فاعتزم على حبسه، وأرسل صاحب حرسه ليأتي به. وأراد الأزد أن يخلصوه فأبى، وجاء إلى نصر يعدد عليه أياديه قبله، من مراجعة يوسف بن عمر في قتله، والغرامة عنه، وتقديم ابنه للرياسة. ثم قال: فبدلت ذلك بالإجماع على الفتنة، فأخذ يعتذر ويتنصل، وأصحاب نصر يتحاملون عليه، مثل مسلم بن أحور وعصمة بن عَبْد الله ا لأسدي.ثم ضربه وحبسه آخر رمضان سنة ست وعشرين، ثم نقب السجن واجتمع له ثلاثة آلاف، وكانت الأزد قد بايعوا عَبْد الملك بن حرملة على الكتاب والسنة. ولما جاء الكرماني قدمه عَبْد الملك، ثم عسار نصر على باب مرو الروذ، واجتمع إليه الناس، وبعث سالم بن أحور في الجموع إلى الكرماني، وسفر الناس بينهما على أن يؤمنه نصر ولا يحبسه. وأجاب نصر إلى ذلك، وجاء الكرماني إليه و أمره بلزوم بيته. ثم بلغه عن نصر شيء فعاد إلى حاله، وكلموه فيه فأمنه، وجاء إليه وأعطى أصحابه عشرة عشرة. فلما عزل جمهور عن العراق وولي عَبْد الله بن عمر بن عَبْد العزيز، خطب نصر قدام بن جمهور وأثنى على عَبْد الله، فغضب الكرماني لابن الجمهور، وعاد لجمع المال واتخاذ السلاح. وكان يحضر الجمعة في ألف وخمسمائة، ويصلي خارج المقصورة، ويدخل فيسلم ولا يحبس. ثم أظهر الخلاف، وبعث إليه نصر سالم بن أحور فأفحش في

صرفه، وسفر بينهما الناس في الصلح على أن يخرج الكرماني من خراسان، وتجهز للخروج إلى جرجان.

أمان الحرث بن شريح وخروجه من دار الحرث:

لمّا وقعت الفتنة بخراسان بين نصر والكرماني خاف نصر أن يستظهر الكرماني عليه بالحارث بن شريح، وكان مقيماً ببلاد الترك منذ إثنتي عشرة سنة كما مرّ، فأرسل مقاتل بن حيان النبطي يراوده على الخروج من بلاد الترك، بخلاف ما يقتضي له الأمان من يزيد بن الوليد. وبعث خالد بن زياد البدي الترمذي وخالد بن عمرة مولى بني عامر لاقتضاء الأمان له من يزيد، فكتب له الأمان. وأمر نصراً أن يردّ عليه ما أخذ له، وأمر عَبْد الله بن عمر بن عَبْد العزيز عامل الكوفة أن يكتب لهما بذلك أيضاً. ولما وصل إلى نصر بعث الى الحرث بذلك، فلقيه الرسول راجعاً مع مقاتل بن حيّان وأصحابه، ووصل سنة سبع وعشرين في جمادى الأخيرة، وأنزله نصر بمرو ورد عليه ما أخذ له، وأجرى عليه كل يوم خمسين درهماً، وأطلق أهله وولده. وعرض عليه أن يوليه، ويعطيه مائة ألف دينار فلم يقبل، وقال: لست من الدنيا واللذات في شيء، وإنما أسأل كتاب الله والعمل بالسنة، وبذلك إساعدك على عدوك. وإنما خرجت من البلاد منذ ثلاث عشرة سنة إنكاراً للجور، فكيف تزيدني عليه. وبعث إلى الكرماني إن عمل نصر بالكتاب عضدته في أمر الله، ولا أعتبك إن ضمنت لي القيام بالعدل والسنة. ثم دعا قبائل تميم فأجاب منهم ومن غيرهم كثير، واجتمع إليه ثلاثة آلاف وأقام على ذلك.

انتقاض مروان لمّا قتل الوليد:

كان مروان بن محمد بن مروان على أرمينية، وكان على الجزيرة عبدة بن رياح العبادي. وكان الوليد قد بعث بالصائفة أخاه، فبعث معه مروان إبنه عَبْد الملك. فلما انصرفوا من الصائفة لقيهم بجرزان حين مقتل الوليد، وسار عبدة عن الجزيرة. فوثب عَبْد الملك بالجزيرة وجرزان فضبطهما، وكتب إلى أبيه بأرمينية يستحثه، فسار طلباً بدم الوليد بعد أن أرسل إلى الثغور من يضبطها. وكان معه ثابت بن نعيم الجذامي من أهل فلسطين، وكان صاحب فتنة. وكان هشام قد حبسه على إفساد

الجند بأفريقية عند مقتل كلثوم بن عياض، وشفع فيه مروان فأطلقاه واتخذه عنده يداً. فلما سار من أرمينية داخل ثابت أهل الشام في العود إلى الشام من وجه الفرات. واجتمع له الكبير من جند مروان وناهضه القتال. ثم غلبهم وانقادوا له، وحبس ثابت بن نعيم وأولاده، ثم أطلقهم من خرّان إلى الشام وجمع نيفاً وعشرين ألفاً من الجزيرة ليسير بهم إلى يزيد، وكتب إليه يشترط ما كان عَبْد الملك ولى أباه محمداً من الجزيرة والموصل وأذربيجان، فأعطاه يزيد ولاية ذلك وبايع له مروان وانصرف.

وفاة يزيد وبيعة أخيه إبراهيم:

ثم توفي يزيد آخر سنة ست وعشرين لخمسة أشهر من ولايته، ويقال: إنه كان قدرياً وبايعوا لأخيه إبراهيم من بعده، إلا أنه انتقض عليه الناس ولم يتم له الأمر. وكان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالإمارة، وأقام على ذلك نحواً من ثلاثة أشهر، ثم خلعه مروان بن محمد على ما يذكر. وهلك سنة إثنتين وثلاثين.

مسير مروان إلي الشام:

ولما توفي يزيد وولى أخوه إبراهيم وكان مضعفاً، انتقض عليه مروان لوقته، وسار إلى دمشق. فلما انتهى إلى قنسرين وكان عليها بشر بن الوليد عاملاً لأخيه يزيد، ومعه أخوهما مسرور،ودعاهم مروان إلى بيعته. ومال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة، وخرج بشر للقاء مروان. فلما تراءى الجمعان مال ابن هبيرة وقيس إلى مروان، وأسلموا بشراً ومسروراً فأخذهما مروان وحبسهما، وسار بأهل قنسرين ومن معه إلى حمص، وكانوا امتنعوا من بيعة إبراهيم. فوجه إليهم عَبْد العزيز بن الحجاج بن عَبْد الملك في جند أهل دمشق، فكان يحاصرهم. فلما دخل مروان رحل عَبْد العزيز عنهم، وبايعوا مروان، وخرج للقائه سليمان بن هشام في مائة وعشرين ألفاً، ومروان في ثمانين فدعاهم إلى الصلح، وترك الطلب بدم الوليد على أن يطلقوا إبنيه الحكم وعثمان وليي عهده، فأبوا وقاتلوه. وسرب عسكراص جاؤهم من خلفهم فانهزموا، وأثخن فيهم أهل حمص فقتلوا

منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً وأسروا مثلها. ورجع مروان بالفل وأخذ عليهم البيعة للحكم وعثمان ابني الوليد، وحبس يزيد بن العقار والوليد بن مصاد الكلبيين فهلكا في حبسه. وكان ممن شهد قتل الوليد بن الحجاج، وهرب يزيد بن خالد القسري إلى دمشق، فاجتمع له مع إبراهيم وعبد العزيز بن الحجاج وتشاوروا في قتل الحكم وعثمان، خشية أن يطلقهما مروان فيثأرا بأبيهما. وولوا ذلك يزيد بن خالد، فبعث مولاه أبا الأسد فقتلهما وأخرج يوسف بن عمر فقتله، واعتصم أبو محمد السفياني ببيت في الحبس فلم يطيقوا فتحه، وأعجلهم خيل مروان. فدخل دمشق وأتى بأبي الوليد ويوسف بن عمر مقتولين، فدفنها وأتى بأبي عمر السفياني في قيوده، فسلم عليه بالخلافة وقال: إنّ ولي العهد جعلها لك. ثم بايعه وسمع الناس فبايعوه، وكان أولهم بيعة معاوية بن يزيد بن حصين بن نضير وأهل حمص. ثم رجع مروان إلى خراسان واستأمن له إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام وقدما عليه، وكان قدوم سليمان من تدمر بمن معه من إخوته وأهل بيته ومواليه الذكوانية فبايعوا لمروان.

انتقاض الناس على مروان

ولما رجع إلى خراسان راسل ثابت بن نعيم من فلسطين أهل حمص في الخلاف على مروان، فأجابوه وبعثوا إلى من كان بتدمر ممن طلب، وجاء الأصبغ بن ذُؤالة الكلبيّ وأولاده، ومعاوية السكسكي فارس أهل الشام وغيرها في ألف من فرسانهم، ودخلوا حمص ليلة الفطر من سنة سبع وعشرين. وزحف مروان في العساكر من حّران ومعه إبراهيم المخلوع، وسليمان بن هشام، ونزل عليهم ثالث يوم الفطر، وقد سدوا أبوابهم فنادى مناديه: ما دعاكم إلى النكث؟ قالوا لم ننكث ونحن على الطاعة. ودخل عمر الوضّاح في ثلاثة آلاف فقاتله المحتشدون هنالك للخلاف، وخرجوا من الباب الآخر، وجفل مروان في اتباعهم، وعلا الباب. فقتل منهم نحو خمسمائة وصلبهم وهدم من سورها علوه، وأفلت الأصبغ بن دؤالة وابنه فرافصة. ثم بلغ مروان وهو بحمص خلاف أهل الغوطة، وأنهم ولّوا عليهم يزيد بن خالد القسري، وحاصروا دمشق وأميرها زامل بن عمر، فبعث مروان إليهم أبا الورد بن الكوثر بن زُفَر بن الحرث، وعمر بن الوضّاح، في عشرة آلاف، فلما دنوا من فى مشق حملوا عليهم، وخرج إليهم من كان بالمدينة فهزموهم، وقتلوا يزيد بن خالد وبعثوا برأسه الى مروان وأحرقوا المزة

وقرى البرامة. ثم خرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين وحاصر طبرية وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم. فبعث مروان إليه أبا الورد، فلما قرب منه خرج أهل طبرية عليه فهزموه، ولقيه أبو الورد منهزماً فهزمه أخرى، وافترق أصحابه، وأسر ثلاثة من ولده، وبعث بهم إلى مروان. وتغيب ثابت وولّى مروان على فلسطين الرُّماحس بن عَبْد العزيز الكنانيّ، فظفر بثابت بعد شهرين، وبعث به إلى مروان موثقاً فقطعه وأولاده الثلاثة، وبعثهم إلى دمشق فصلبوه. ثم بايع لابنيه عَبْد الله وعبيد الله وزوجهما بنتي هشام، ثم سار إلى ترمذ من دير أيوب، وكانوا قد غوروا المياه. فاستعمل المزاد والقرب والإبل، وبعث وزيره الأبرش الكلّبي إليهم، وأجابوا إلى الطاعة. وهرب نفر منهم إلى البلد، وهدم الأبرش سورها، ورجع بمن أطاع إلى مروان. ثم بعث مروان يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لقتال الضحاك الشيبانيّ الخارجي بالكوفة، وأمدّه ببعوث أهل الشام، ونزل قرقيسيا ليقدّم ابن هبيرة لقتال الضحاك. وكان سليمان بن هشام قد استأذنه بالمقام في الرصافة أياماً ويلحق به، فرجعت طائفة عظيمة من أهل الشام الذين بعثهم مروان مع ابن هبيرة، فأقاموا بالرصافة ودعوا سليمان بن هشام بالبيعة فأجاب، وسار معهم إلى قَنَّسْرِين فعسكر بها، وكاتب أهل الشام فأتوه من كل وجه. وبلغ الخبر مروان فكتب إلى ابن هبيرة بالمقام، ورجع من قرقيسيا إلى سليمان فقاتله فهزمه، واستباح معسكره وأثخن فيهم وقتل أسراهم، وقتل إبراهيم أكبر ولد سليمان وخالد بن هشام المخزومي جا أبيه فيما ينيف على ثلاثين ألفاً وهرب سليمان إلى حمص في الفل فعسكر بها، وبنى ما كان تهدم من سورها. وسار مروان إليه، فلما قرب منه بيّته جماعة من أصحاب سليمان تبايعوا على الموت، وكان على احتراس وتعبية، فترك القتال بالليل وكمنوا له في طريقه من الغد، فقاتلهم إلى آخر النهار، وقتل منهم نحواً من ستمائة. وجاؤا إلى سليمان فلحق بتدمر وخلف أخاه سعيداً بحمص، وحاصره مروان عشرة أشهر ونصب عليهم نيفاً وثمانين منجنيقا، حتى استأمنوا

له وأمكنوه من سعيد بن هشام وآخرين شرطهم عليهم.ثم سار لقتال الضحّاك الخارجيّ بالكوفة. وقيل إنّ سليمان بن هشام لما انهزم بقَّنسْرين لحق بعبد الله بن عمر بن عَبْد العزيز بالعراق، وسار معه إلى الضحّاك فبايعوه، وكان النضر بن سعيد قد وَلِيَ العراق. فلما اجتمعوا على قتاله سار نحو مروان فاعترضه بالقادسية جنود الضحّاك من الكوفة مع ابن ملحان فقتله النضر. وولّى الضحاك مكانه بالكوفة المثنى بن عمران، وسار الضحّاك إلى الموصل وأقبل ابن هبيرة إلى الكوفة،فنزل بعيد التمر. وسار إليه المثنى فهزمه ابن هبيرة وقتله وعدّة من قوّاد الضحاك. وانهزم الخوارج ومعهم منصور بن جمهور، ثم جاؤا إلى الكوفة واحتشدوا وساروا للقاء ابن هبيرة، فهزمهم ثانية ودخل الكوفة وسار إلى واسط. وأرسل الضحّاك عبيدة بن سوار الثعلبي لقتاله، فنزل الصَّرَاة، وقاتله ابن هبيرة هنالك فانهزمت الخوارج كما يأتي في أخبارهم.

ظهور عَبْد اللّه بن معاوية

كان عَبْد الله بن معاوية بن عَبْد الله بن جعفر قدم على عَبْد الله بن عمر بن عَبْد العزيز الكوفة في إخوانه وولده، فأكرمهم عَبْد الله وأجرى عليهم ثلثمائة درهم في كل يوم وأقاموا كذلك. ولما بويع إبراهيم بن الوليد بعد أخيه، واضطرب الشام وسار مروان إلى دمشق، حبس عَبْد الله بن عمر عَبْد الله بن معاوية عنده، وزاد في رزقه بعده لمروان يبايعه ويقاتله. فلما ظفر مروان بإبراهيم سار إسمعيل بن عَبْد الله القسري إلى الكوفة وقاتله عَبْد الله بن عمر. ثم خاف إسمعيل أن يفتضح، فكفوا خبرهم فوقعت العَصَبِيَّة بين الناس من إيثارعبد الله بن عمر بعضاً من مُضَر وربيعة بالعطاء دون غيرهم، فثارت

ربيعة، فبعث إليهم أخاه عاصماً ملقياً بيده فاستحيوا ورجعوا. وأفاض في رؤوس الناس يستميلهم. فاستنفر الناس، واجتمعت الشيعة إلى عَبْد الله بن معاوية فبايعوه وأدخلوه قصر الكوفة، وأخرجوا منه عاصم بن عمر. فلحق بأخيه بالحيرة وبايع الكوفيون ابن معاوية ومنهم منصور بن جمهور وإسمعيل أخو خالد القسري وعمر بن العطاء، وجاءته البيعة من المدائن وجمع الناس، وخرج إلى عَبْد الله بن عمر بالحيرة، فسرّح للقائه مولاه. ثم خرج في أثره وتلاقيا، ونزع منصور بن جمهور وإسمعيل أخو خالد القسري وعمر بن العطاء. وجاءته البيعة من ابن عمر ولحقوا بالحيرة وانهزم ابن معاوية إلى الكوفة. وكان عمر بن الغضبان قد حمل على ميمنة ابن عمر فكشفها، وانهزم أصحابه من ورائه. فرجع إلى الكوفة وأقام مع ابن معاوية في القصر، ومعهم ربيعة والزيدية على أفواه السكك يقاتلون ابن عمر. ثم أخذ ربيعة الأمان لابن معاوية ولأنفسهم وللزيدية، وسار ابن معاوية إلى المدائن، وتبعه قوم من أهل الكوفة، فتغلب بهم على حلوان والجبل وهمذان وأصبهان والري إلى أن كان من خبره ما نذكره.

غلبة الكرماني على مرو وقتله الحرث بن شريح:

لمّا ولي مروان وولّى على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة كتب يزيد إلى نصر بعهده على خراسان، فبايع لمروان بن محمد، فارتاب الحرث وقال: ليس لي أمان من مروان، وخرج فعسكر، وطلب من نصر أن يجعل الأمر شورى فأبى. وقرأ جهم بن صفوان مولى راسب وهو رأس الجهـميّة سيرته وما يدعو إليه على الناس، فرضوا وكثر جمعه. وأرسل إلى نصر في عزل سالم بن أحور عن الشرطة وتغيير العمال، فتقرّر الأمر بينهما على أن يردوا ذلك إلى رجال أربعة: مقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حيان بتعيين نصر، والمغيرة بن شعبة الجهضي ومعاذ بن جبلة بتعيين الحرث.

وأمر نصر أن يكتب بولاية سمرقند وطخارستان لمن يرضاه هؤلاء الأربعة. وكان الحرث يقول إنه صاحب السور، وإنه يهدم سور دمشق، ويزيل ملك بني أُمَيَّة. فأرسل إليه نصر: إن كان ما تقوله حقاً فتعال نسير إلى دمشق، وإلا فقد أهلكت عشيرتك. فقال الحرث :هو حق لكن لا تبايعني عليه أصحابي. قال فكيف تهلك عشرين ألفاً من ربيعة واليمن ؟ ثم عرض عليه ولاية ما وراء النهر ويعطيه ثلثمائة ألف فلم يقبل. فقال له فابدأ بالكرماني فاقتله وأنا في طاعتك. ثم اتفقا على تحكيم جهم ومقاتل، فاحتكما بأن يعزله نصر، ويكون الأمر شورى. فأتى نصر فخالفه الحرث، وقدم على نصر جمع من أهل خراسان حين سمعوا بالفتنة: منهم عاصم بن عمير الضريمي، وأبو الدَّيَّال الناجي ومسلم بن عَبْد الرحمن وغيرهم. فكانوا معه. وأمر الحرث أن يقرأ سيرته في الأسواق والمساجد، وأتاه الناس وقرئت على باب نصر. فضرب غلمان نصر قارئها فنادى بهم، وتجهزوا للحرب. ونقب الحرث سور مرو من الليل، ودخل بالنهار فاقتتلوا وقتل جهم بن مسعود الناجي، وأعين مولى حيان، ونهبوا منزل مسلم بن أحور، فركب سالم حين أصبح، فقاتل الحرث وهزمه، وجاء إلى عسكره فقتل كاتبه. وبعث نصر إلى الكرماني، وكان في الأزد و ربيعة، وكان موافقاً للحرث لمّا قدمناه، فجاءه نصر على الأمان وحادثهم وأغلظوا له في القول فارتاب ومضى، وقتل من أصحابه جهم بن صفوان. ثم بعث الحرث إبنه حاتماً إلى الكرمانيّ يستجيشه، فقال له أصحابه: دع عدويك يضطربان، ثم ضرب بعد يومين وناوش القتال أصحاب نصر فهزمهم، وصرع تميم بن نصر ومسلم بن أحور. وخرج نصر من مرو من الغد، فقاتلهم ثلاثة أيام، وانهزم الكرمانيّ وأصحابه، ونادى مناد يا معشر ربيعة واليمن إن أبا سيّار قتل، فانهزمت مضر ونصر وترجل إبنه تميم، فقاتل وأرسل إليه الحرث أني كافّ عنك فإنّ اليمانية يعيرونني بانهزامكم، فاجعل أصحابك إزاء الكرمانيّ. ولما انهزم نصر غلب الكرمانيّ على مرو ونهب الأموال، فأنكر ذلك عليه الحرث، ثم اعتزل عن الحرث بشر بن جرموز الضبـّي في خمسة آلاف، وقال: إنما كنا نقاتل معك طلباً للعدل، فأمّا إن اتبعت الكرماني للعصبية فنحن لا نقاتل. فدعى الحرث الكرماني إلى الشورى فأبى، فانتقل الحرث عنه وأقاموا أياماً. ثم ثلم الحرث السور ودخل البلد وقاتله الكرمانيّ قتالاً شديداً فهزمه وقتله وأخاه سوادة. واستولى الكرمانيّ على مرو وقيل إن الكرماني خرج مع الحرث لقتال

بشر بن جرموز. ثم ندم الحرث على اتباع الكرماني. وأتى عسكر بشر فأقام معهم، وبعث إلى مضر من عساكر الكرماني فساروا إليهم، وكانوا يقتتلون كل يوم ويرجعون إلى خنادقهم. ثم نقب الحرث بعد أيام سور مرو ودخلها وتبعه الكرماني واقتتلوا، فقتل الحرث وأخاه، وبشر بن جرموز وجماعة من بني تميم. وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة، فانهزم الباقون، وصفت مرو لليمن وهدموا دور المضرية.

ظهور الدعوة العباسية بخراسان:

قد ذكرنا أن أبا مسلم كان يتردد إلى الإمام من خراسان، ثم استدعاه سنة تسعة وعشرين ليسأله عن الناس، فسار في سبعين من النقباء مؤدين بالحج. ومر بِنَسَا فاستدعى أسيداً فأخبره بأن كتب الإمام جاءت إليه مع الأزهر بن شعيب وعبد الملك بن سعيد، ودفع إليه الكتب. ثم لقيه بقومس كتاب الإمام إليه وإلى سليمان بن كثير أني قد بعثت إليك براية النصر، فارجع من حيث يلقاك كتابي ووجه قحطبة إلى الإمام بما معه من الأموال والعروض. وجاء أبو مسلم إلى مرو وأعطى كتاب الإمام لسليمان بن كثير، وفيه الأمر بإظهار الدعوة، فنصبوا أبا مسلم، وقالوا رجل من أهل البيت، ودعوا إلى طاعة بني العباس. وكتبوا إلى الدعاة بإظهار الأمر، وترك أبو مسلم بقرية من قرى مرو في شعبان من سنة تسع وعشرين.ثم بثوا الدعاة في طخارستان ومرو الرود والطالقان وخوارزم، وأنهم إن أعجلهم عدوّهم. دون الوقت عاجلوه وجرّدوا السيوف للجهاد، ومن شغله العدوّ عن الوقت فلا حرج عليه أن يظهر بعد الوقت. ثم سار أبو مسلم فنزل على سليمان بن كثير الخزاعي آخر رمضان، ونصر بن سيّار يقاتل الكرماني وشيبان. فعقد اللواء الذي بعث به الإمام إليه، وكان يدعى الظلّ على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً. ثم عقد الراية التي بعثها معه وتسمى السحاب وهو يتلو: { **أذن للذين يقاتلون** } [سورة....].ولبسوا السواد هو وسليمان بن كثير وأخوه سليمان ومواليه، ومن أجاب الدعوة من أهل تلك القرى، وأوقدوا النيران ليلتهم لشيعتهم في خرقان فأصبحوا عنده. ثم قدم عليه أهل السقادم مع أبي الوضّاح في سبعمائة راجل، وقدم من الدعاة أبو العباس المروزي، وحصن أبو مسلم بسفيدنج ورَمَّها، وحضر عيد الفطر، فصلى سليمان بن كثَيّر، وخطب على المنبر في العسكر وبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة. وكبر في الأولى ست تكبيرات، وفي الثانية خمساً خلاف ما كانوا بنو أمَيَّة

يفعلون. وكل ذلك مما سنّه لهم الإمام وأبوه. ثم انصرفوا من الصلاة مع الشيعة، فطمعوا وكان أبو مسلم وهو في الخندق إذا كتب نصر بن سيار يبدأ بإسمه، فلما قوي بمن اجتمع إليه كتب إلى نصر وبدأ بنفسه وقال(أمَّا بعد) فإنّ الله تباركت أسماؤه عَيّر قوماً في القرآن فقال: { **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير**}[سورة:....] إلى: {**ولن تجد لسنة الله تحويلاً**}.[سورة:....]. فاستعظم الكتاب وبعث مولاه يزيد لمحاربة أبي مسلم لثمانية عشر شهراً من ظهوره، فبعث إليه أبو مسلم مالك بن الهيثم الخزاعي، فدعاه إلى الرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستكبروا، فقاتلهم مالك وهو في مائتين يوماً بكماله. وقدم على أبي مسلم صالح بن سليمان الضبيّ وإبراهيم بن يزيد وزياد بن عيسى، فسرّحهم إلى مالك فقوي مالك بهم، وقاتلوا القوم فحمل عَبْد الله الطائي على يزيد مولى نصر فأسره، وانهزم أصحابه وأرسله الطائي إلى أبي مسلم ومعه رؤوس القتلى، فأحسن أبو مسلم إلى يزيد وعالجه، ولما اندملت جراحه قال: إن شئت أقمت عندنا وإلا رجعت إلى مولاك سالماً، بعد أن تعاهدنا على أن لا تحاربنا ولا تكذب علينا، فرجع إلى مولاه. وتفرس نصر أنه عاهدهم فقال: والله هو ما ظننت وقد استحلفوني أن لا أكذب عليهم وأنهم والله يصلون الصلاة لوقتها بأذان وإقامة، ويتلون القرآن، ويذكرون الله كثيراً ويدعون إلى ولاية آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أحسب أمرهم إلا سيعلو. ولولا أنك مولاي لأقمت عندهم، وكان الناس يرجفون عنهم بعبادة الأوثان واستحلال الحرام. ثم غلب حازم بن خزيمة على مرو الروذ، وقتل عامل نصر بها. وكان من بني تميم من الشيعة، وأراد بنو تميم منعه. فقال: أنا منكم، فإن ظفرت فهي لكم، وإن قتلت كفيتم أمري فنزل قرية زاها. ثم تغلب على أهلها، فقتل بشر بن جعفر السغدي عامل نصر عليها أوائل ذي القعدة، وبعث بالفتح إلى أبي مسلم مع إبنه خزيمة بن حازم. وقيل فى أمر أبي مسلم غير هذا وأن إبراهيم الإمام أزوج أبا مسلم لمّا بعثه إلى خراسان بابنة أبي النجم، وكتب إلى النقباء بطاعته كان أبو مسلم من سواد الكوفة فهزما فانتهى لادريس بن معقل العجلي. ثم سار الى ولاية محمد بن علي ثم إبنه إبراهيم ثم للأئمة من ولاية من ولده. وقدم خراسان وهو حديث

السن، واستصغره سليمان بن كثيّر فردّه. وكان أبو داود خالد بن إبراهيم غائباً وراء النهر. فلما جاء إلى مرو أقرأه كتاب الإمام وسألهم عن أبي مسلم، فأخبروه أنّ سليمان بن كثير ردّه لحداثة سنة وأنه لا يقدر على الأمر فنخاف على أنفسنا وعلى من يدعوه. فقال لهم أبو داود: إن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم إلى جميع خلقه، وأنزل عليه كتابه بشرائعه، وأنبأه بما كان وما يكون، وخلف علمه رحمة لأمته، وعمله إنما هو عند عترته وأهل بيته، وهم معدن العلم وورثة الرسول فيما علمه الله. أتشكون في شيء من ذلك ؟ قالوا لا. قال فقد شككتم والرجل لم يبعثه إليكم حتى علم أهليته لمّا يقوم به، فبعثوا عن أبي مسلم وردوه من قومس بقول أبي داود، وولوه أمرهم وأطاعوه. ولم نزل في نفس أبي مسلم من سليمان بن كثيّر. ثم بعث الدعاة ودخل الناس في الدعوة أفواجاً واستدعاه الإمام سنة تسع وعشرين أن يوافيه بالمرسوم ليأمره بأمره في إظهار الدعوة، وأن يقدم معه قحطبة بن شبيب، ويحمل ما اجتمع عنده من الأموال. فسار في جماعة من النقباء والشيعة، فلقيه كتاب الإمام بقومس يأمره بالرجوع وإظهار الدعوة بخراسان، وبعث قحطبة بالمال، وأنّ قحطبة سار إلى جرجان. واستدعى خالد بن برمك وأبا عون، فقدما بما عندهما من مال الشيعة فسار به نحو الإمام.

مقتل الكرماني:

قد ذكرنا من قبل أن الكرماني قتل الحرث بن شريح، فخلصت له مرو وتنحىّ نصر عنها. ثم بعث نصر سالم بن أَحْوَر في رابطته وفرسانه إلى مَرْو، فوجد يحيى بن نعيم الشيباني في ألف رجل من ربيعة، ومحمد بن المثُنَى في سبعمائة من الأزد، وأبو الحسن بن الشيخ في ألف منهم، والحربي السغدي في ألف من اليمن. فتلاحى سالم وابن المثنى وشتم سالم الكرماني فقاتلوه فهزموه وقتل من أصحابه نحو مائة. فبعث نصر بعده عصمة بن عَبْد الله الأسدي فكان بينهم مثل ما كان أوّلاً فقاتلهم محمد السغدي، فانهزم السغدي، وقتل من أصحابه أربعمائة، ورجع إلى نصر. فبعث مالك بن عمر التميمي فاقتتلوا كذلك، وانهزم مالك وقتل من أصحابه سبعمائة، ومن أصحاب الكرماني ثلثمائة. ولما استيقن أبو مسلم أن كلا الفريقين قد أثخن صاحبه، وأنه لا مدد لهم جعل يكتب إلى شيبان الخارجي يذمّ اليمانية تارةً ومضر أخرى ويوصي

الرسول بكتاب مضر أن يتعرض لليمانية ليقرؤا ذم مضر، والرسول بكتاب اليمانية، أن يتعرض لمضر ليقرؤا ذم اليمانية، حتى صار هوى الفريقين معه. ثم كتب إلى نصر بن سيّار والكرماني: أنّ الإمام أوصاني بكم ولا أعدو رأيه فيكم. ثم كتب يستدعي الشيعة: أسد بن عَبْد الله الخزاعي بنسا، ومقاتل بن حكيم بن غزوان، وكانوا أوّل من سود ونادوا يا محمد يا منصور ! ثم سود أهل أبي ورد ومرو الروذ وقرى مرو، فاستدعاهم أبو مسلم، وأقبل فنزل بين خندق الكرماني وخندق نصر، وهابه الفريقان، وبعث إلى الكرماني إني معك، وقبل فانضم أبو مسلم إليه، وكتب نصر بن سيّار إلى الكرماني يحذّره منه، ويشير عليه بدخول مرو ليصالحه. فدخل ثم خرج من الغد، وأرسل إلى نصر في إتمام الصلح في مائتي فارس، فرأى نصر فيه غرة، فبعث إليه ثلثمائة فارس فقتلوه، وسار إبنه إلى أبي مسلم، وقاتلوا نصر بن سيار حتى أخرجوه من دار الإمارة إلى بعض الدور. ودخل أبو مسلم مرو فبايعه علي بن الكرماني، وقال له أبو مسلم أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بأمري. وكان نصر حين نزل أبو مسلم بين خندقه وخندق الكرماني ورأى قوته، كتب إلى مروان بن محمد يعلمه بخروجه وكثرة من معه ودعائه لإبراهيم بن محمد:

أرى خلل الرماد وميض جمرٍ
ويوشك أن يكون لها ضرام

فإن النار بالعودين تذكو وإن الحرب أولها الكـــلام

فإن لم تطفؤها يخرجوها مسجرة يغيب لها الغـــلام

أقول من التعجب ليت شعرى أأيقظ أمية أم نيـام

فإن يك قومنا أضحوا نياماً فقل قوموا فقد حان القيم

تعزى عن رجالك ثم قولى على الإسلام والعرب السلام

فوجده مشتغلا بحرب الضحّاك بن قيس، فكتب إليه: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فأحثهم التلول قبلك. فقال نصر: أمَّا صاحبكم فقد أعلمكم أنه لا نصر عنده. وصادف وصول كتاب نصر إلى مروان عثورهم على كتاب من إبراهيم الإمام لأبي مسلم يوبّخه حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرماني إذ أمكنته، ويأمره أن لا يدع بخراسان متكلّماً بالعربية. فلما قرأ الكتاب بعث إلى عامله بالبلقاء أن يسير إلى الحيسة، فيبعث إليه إبراهيم بن محمد مشدود الوثاق فحبسه مروان.

اجتماع أهل خراسان على قتل أبي مسلم:

لمّا أظهر أبو مسلم أمره سارع إليه الناس، وكان أهل مرو يأتونه ولا يمنعهم نصر، وكان الكرماني وشيبان الخارجي لا يكرهان أمر أبي مسلم لأنه دعا إلى خلع مروان. وكان أبو مسلم ليس له حرس ولا حجّاب ولا غلظة الملك، فكان الناس يأنسون به لذلك، وأرسل نصر إلى شيبان الخارجي في الصلح ليتفرغ لقتال أبي مسلم، إمَّا أن يكون معه أو يكفّ عنه، ثم نعود إلى ما كنا فيه. فهمّ شيبان بذلك، وكتب أبو مسلم إلى الكرمانيّ فحرضه على منع شيبان من ذلك، فدخل عليه وثناه عنه. ثم بعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبي إلى هراة فملكها، وطرد عنها عيسى بن عقيل بن معقل الليثي عامل نصر. فجاء يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني إلى الكرماني وشيبان، وأغراهما بمصالحة نصر. وقال: إن صالحتم نصراً قاتله أبو مسلم وترككم، لأنّ أمر خراسان لمضر. وإن لم تصالحوه صالحه وقاتلكم، فقدّموا نصر قبلكم. فأرسل شيبان إلى نصر في الموادعة فأجاب، وجاء مسلم بن أحور بكتب الموادعة فكتبوها. وبعث أبو مسلم إلى شيبان في موادعة ثلاثة أشهر. فقال ابن الكرمانيّ: إذا ما صالحت نصراً إنما صالحه شيبان وأنا موتور بأبي. ثم عاود القتال وقعد شيبان عن نصره، وقال :لا يحلّ الغدر، فاستنصر ابن الكرمانيّ بأبى مسلم، فأقبل حتى نزل الماخران لإثنتين وأربعين يوماً من نزوله يسفيدنج، وخندق على معسكره وجعل له بابين، وعلى شرطته مالك بن الهيثم، وعلى الحرس أبا إسحق خالد بن عثمان، وعلى ديوان الجند أبا صالح كامل بن المظفّر، وعلى الرسائل أسلم بن صبيح، وعلى القضاء القاسم بن مجاشع النقيب وكان القاسم يصلي بأبي مسلم ويقرأ القصص بجد العصر، فيذكر فضل بني هاشم وسالف بني أُمَيَّة. فلما نزل أبو مسلم الماخران أرسل إلى ابن الكرمانيّ بأنه معه، فطلب لقاءه فجاءه أبو مسلم وأقام عنده يومين ثم رجع، وذلك أوّل المحرم سنة ثلاثين. ثم عرض الجند، وأمر كامل بن مظفّر بكتب أسمائهم وأنسابهم في دفتر، فبلغت عدّته سبعة آلاف. ثم إن القبائل من ربيعة ومضر واليمن توادعوا على وضع الحرب والاجتماع على قتال أبي مسلم، فعظم ذلك عليه وتحول عن الماخران لأربعة أشهر من نزولها لأنها كانت

تحت الماء. وخشي أن يقطع فتحوّل إلى طبسين وخندق بها، وخندق نصر بن سيار علي نهر عياض، وأنزل عمّاله بالبلاد. فأنزل أبا الدَّيال في جنده لطوسان، فآذوا أهلها وعسفوهم، وكان أكثرهم مع أبي مسلم في خندق، فسير إليهم جنداً فقاتلوه فهزموه وأسروا من أصحابه ثلاثين، فأطلقهم أبو مسلم، ثم بعث محرز بن إبراهيم في جمع من الشيعة ليقطع مادّة نصر من مرو الروذ وبلخ وطخارستان، فخندق بين نصر وبين هذه البلاد، واجتمع إليه ألف رجل وقطع المادة عن نصر.

مقتل عَبْد الله بن معاوية:

قد تقدم لنا أنّ عَبْد الله بن معاوية بن عَبْد الله بن جعفر بويع بالكوفة، وغلبه عليها عَبْد الله بن عمر بن عَبْد العزيز ولحق بالمدائن. وجاءه ناس من أهل الكوفة وغيرها، فسار إلى الجبال وغلب عليها وعلى حلوان وقومس وأصبهان والريّ وأقام بأصبهان. وكان محارب بن موسى مولى بني يشكر عظيم القدر بفارس، فجاء إلى دار الإمارة بأصطخر وطرد عامل عَبْد الله بن عمرعنها، وبايع الناس لعبد الله بن معاوية. ثم سار إلى كرمان فأغار عليها وانضم إليه قوّاد من أهل الشام. فسار إلى سالم بن المسيَّب عامل عَبْد الله بن عمر على شيراز، فقتله سنة ثمان وعشرين. ثم سار محارب إلى أصبهان وحوّل عَبْد الله بن معاوية إلى أصطخر، بعد أن استعمل على الجبال أخاه الحسن بن معاوية، وأتى إلى أصطخر فنزل بها، وأتاه بنو هاشم وغيرهم، وجبى المال وبعث العمّال. وكان معه منصور بن جمهور وسليمان بن هشام، وأتاه شيبان بن عَبْد العزيز الخارجي، ثم أتاه جعفر المنصور وعبد الله ابن أخيه عيسى. ولما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق أرسل نباتة بن حنظلة الكلابي على الأهواز، وأن يقاتل عَبْد الله بن معاوية، وبلغ سليمان بن حبيب وهو بالأهواز فسرّح داود بن حاتم للقاء نباتة، وهرب سليمان من الأهواز إلى نيسابور، وقد غلب الأكراد عليها فطردهم عنها، وبايع لابن معاوية، فبعث أخاه يزيد بن معاوية عليها. ثم إنّ محارب بن موسى فارق عَبْد الله بن معاوية وجمع، وقصد نيسابور. فقاتله يزيد بن معاوية، وهزمه فأتى كرمان. وأقام بها حتى قدم محمد بن الأشعث، فصار معه ثم نافره. فقتله ابن الأشعث وأربعة وعشرين إبناً له.ثم بعث يزيد بن هبيرة بعد نباتة بن حنظلة إبنه داود بن يزيد في العساكر إلى عَبْد الله بن معاوية، وعلى مقدمته داود بن ضبارة.وبعث

معن بن زائدة من وجه آخر، فقاتلوا عَبْد الله بن معاوية وهزموه وأسروا وقتلوا، وهرب منصور بن جمهور إلى السند، وعبد الرحمن بن يزيد إلى عمان، وعمر بن سهيل بن عَبْد العزيز بن مروان إلى مصر، وبعثوا بالأسرى إلى ابن هبيرة، فأطلقهم ومضى ابن معاوية عن فارس إلى خراسان. وسار معن بن زائدة في طلب منصور بن جمهور، وكان فيمن أسر مع عَبْد الله بن معاوية عَبْد الله بن علي بن عَبْد الله بن عباس، شفع فيه حرب بن قطن من أخواله بني هلال، فوهبه له ضبارة، وغاب عَبْد الله بن معاوية عن ابن ضبارة. ورمى أصحابه باللواطة، فبعث إلى ابن هبيرة ليخبره، وسار ابن ضبارة في طلب عَبْد الله بن معاوية إلى شيراز، فحاصره بها حتى خرج منها هارباً ومعه أخوه الحسن ويزيد وجماعة من أصحابه فسلك المفازة على كرمان إلى خراسان طمعاً في أبي مسلم، لأنه كان يدعو إلى الرضا من آل محمد، وقد استولى على خراسان فوصل إلى نواحي هراة وعليها مالك فقال له: انتسب نعرفك. فانتسب له فقال: أمَّا عَبْد الله وجعفر فمن أسماء آل الرسول، وأمَّا معاوية فلا نعرفه في أسمائهم. قال :إنّ جدّي كان عند معاوية حين ولد أبي، فبعث إليه مائة ألف على أن يسمي إبنه باسمه. فقال: لقد اشتريتم الأسماء الخبيثة بالثمن اليسير فلا نرى لك حقاً فيما تدعو إليه. ثم بعث بخبره إلى أبي مسلم، فأمره بالقبض عليه وعلى من معه فحبسهم. ثم كتب إليه بإطلاق أخويه الحسن ويزيد، وقتل عَبْد الله فوضع الفراش على وجهه فمات .

لمّا تعاقد نصر وابن الكرماني وقبائل ربيعة واليمن ومضر على قتال أبي مسلم عظم على الشيعة، وجمع أبو مسلم أصحابه ودسّ سليمان بن كثيّر إلى ابن الكرماني يذكّره بثأر أبيه من نصر فانتقضوا، فبعث نصر إلى أبي مسلم بموافقة مضر، وبعث إليه أصحاب ابن الكرماني وهم ربيعة واليمن بمثل ذلك. واستدعى وفد الفريقين ليختار الركون إلى أحدهما، وأحضر الشيعة لذلك وأخبرهم بأن مضر أصحاب مروان وعمّاله وشيعته وقبله يحيى بن يزيد. فلما حضر الوفد تكلم سليمان بن كثيّر ويزيد بن شقيق

السَلَـمِّي بمثل ذلك، وبأن نصر بن سيّار عامل مروان ويسميه أمير المؤمنين، وينفّذ أوامره فليس على هدى، وإنما يختار علي بن الكرماني. وأصحابه ووافق السبعون من الشيعة على ذلك وانصرف الوفد ورجع أبو مسلم من أبين إلى الماخران، وأمر الشيعة ببناء المساكن، وأمن من فتنة العرب ثم أرسل إليه علي بن الكرماني أن يدخل مرو من ناحيته ليدخل هو وقومه من الناحية الأخرى، فلم يطمئن لذلك أبو مسلم وقال: ناشبهم الحرب من قبل فناشب ابن الكرمانيّ نصر بن سيّار الحرب، ودخل مرو من ناحيته، وبعث أبو مسلم بعض النقباء. فدخل معه ثم سار وعلى مقدمته أسيد بن عَبْد الله الخزاعيّ، وعلى ميمنته مالك بن الهيثم، وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع. فدخل مرو والفريقان يقتتلان، ومضى إلى قصر الإمارة وهو يتلو: ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها. وأمر الفريقين بالانصراف فانصرفوا إلى معسكرهم وصفت له مرو، وأمر بأخذ البيعة من الجند، وتولى أخذها أبو منصور طلحة بن زريق أحد النقباء الذين اختارهم محمد بن علي من الشيعة حين بعث دعاته إلى خراسان سنة ثلاث وأربع، وكانوا إثني عشر رجلاً فمن خُزاعة سليمان بن كثيّر ومالك بن الهيثم وزياد بن صالح وطلحة بن زريق وعمر بن أعين. ومن طيء قحطبة بن شبيب بن خالد بن سعدان، ومن تميم أبو عيينة موسى بن كعب ولاهز ابن قريط والقاسم بن مجاشع وأسلم بن سلام. ومن بكر بن وائل أبو داود خالد بن إبراهيم الشيبانيّ وأبو علي الهروي، ويقال شبل بن طهمان. وكان عمر بن أعين مكان موسى بن كعب وأبو النَّجْم إسمعيل بن عمران مكان أبي علي الهروي وهو ختن أبي مسلم. ولم يكن أحد من النقباء غير أبي منصور طلحة بن زريق بن سعد، وهو أبو زينب الخزاعي، وكان قد شهد حرب ابن الأشعث، وصحب المهلّب وغزا معه. وكان أبو مسلم يشاوره في الأمور. وكان نصّ البيعة: أبايعكم على كتاب الله وسنّة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والطاعة للرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق، والمشي إلى بيت الله الحرام، وعلى أن لا تسألوا رزقاً ولا طمعاً حتى تبدأكم به ولاتكم، وذلك سنة ثلاثين ومائة.ثم أرسل أبو مسلم لاهز بن قريط في جماعة إلى نصر بن سيّار يدعو إلى البيعة، وعلم نصر أن أمره قد استقام ولا طاقة له بأصحابه، فوعده بأنه يأتيه يبايعه من الغد، وأرسل أصحابه بالخروج من ليلتهم إلى مكان يأمنون فيه. فقال

أسلم بن أحوز لا يتهيأ لنا الليلة. فلما أصبح أبو مسلم كتابه، وأعاد لاهز بن قريط إلى نصر يستحثه فأجاب وأقام لوضوئه، فقال لاهز: إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك. فخرج نصر عند المساء من خلف حجرته ومعه إبنه تميم، والحكم بن غيلة النميري، وامرأته المرزبانة، وانطلقوا هراباً. واستبطأه لاهز فدخل المنزل فلم يجده وبلغ أبا مسلم هربه فجاء إلى معسكره وقبض على أصحابه، منهم سالم بن أحوز صاحب شرطته، والبحتري كاتبه، وإبنان له ويونس بن عَبْد ربه، ومحمد ابن قطن وغيرهم. وسار أبو مسلم وابن الكرماني في طلبه ليلتهما، فأدركا امرأته قد خلفها وسار، فرجعوا إلى مرو. وبلغ نصر من سرخس فأقام بطوس خمس عشرة ليلة. ثم جاء نيسابور فأقام بها، وتعاقد ابن الكرماني مع أبي مسلم على رأيه. ثم بعث إلى شيبان الحروري يدعوه إلى البيعة، فقال شيبان: بل أنت تبايعني ، واستنصر بابن الكرماني فأبى عليه، وسار شيبان إلى سرخس واجتمع له جمع من بكر بن وائل، وبعث إليه أبو مسلم في الكف فسجن الرسل. فكتب إلى بسّام بن إبراهيم مولى بني ليث المُكَنّى بأبي ورد أن يسير إليه، فقاتله وقتله، وقتل بكر بن وائل الرسل الذين كانوا عنده. وقيل إنّ أبا مسلم إنما وجه إلى شيبان عسكراً من عنده عليهم خزيمة بن حازم وبسّام بن إبراهيم. ثم بعث أبو مسلم كعباً من النقباء إلى أبيورد فافتتحها ثم أبا داود خالد بن إبراهيم من النقباء إلى بلخ وبها زياد بن عَبْد الرحمن القشيريّ، فجمع له أهل بلخ وترمذ وجند طخارستان ونزل الجوزجان، ولقيهم أبو داود فهزمهم وملك مدينة بلخ. وساروا إلى ترمذ فكتب أبو مسلم إلى أبي داود يستقدمه، وبعث مكانه على بلْخ يحيى بن نعيم أبا الميلا، فداخله زياد بن عَبْد الرحمن في الخلاف على أبي مسلم، واجتمع لذلك زياد ومسلم بن عَبْد الرحمن الباهليّ وعيسى بن زرعة السلميّ، وأهل بَلْخ وترمذ، وملوك طخارستان وما وراء النهر. ونزلوا على فرسخ من بلْخ، وخرج إليهم يحيى بن نعيم بمن معه.واتفقت كلمة مضر وربيعة واليمن ومن معهم من العجم على قتال المـسـوَّدة، وولّوا عليهم مقاتل بن

حيّان النبطي مخافة أن يتنافسوا. وبعث أبو مسلم أبا داود إليهم، فأقبل بعساكره حتى اجتمعوا على نهر السرحسان واقتتلوا. وكان زياد وأصحابه قد خلفوا أبا سعيد القرشي مسلحةً وراءهم خشية أن يؤتوا من خلفهم، وكانت راياته سوداً وأغفلوا ذلك. فلما اشتدّ القتال زحف أبو سعيد في أصحابه لمددهم، فظنّوه كمينا للمسَـوّدة فانهزموا وسقطوا في النهر، وحوى أبو داود معسكرهم بما فيه، وملك بلْخ. ومضى زياد ويحيى ومن معهما إلى ترمذ، وكتب أبو مسلم يستقدم أبا داود. وبعث النضر بن صبيح المزني على بلخ. ولما قدم أبو داود أشار على أبي مسلم بالتفرقة بين عليّ وعثمان إبني الكرماني. فبعث عثمان على بلْخ وقدمها فاستخلف الفرافصة بن ظهير العبسي، وسار هو والنضر بن صبيح إلى مرو الروذ. وجاء مسلم بن عَبْد الرحمن الباهليّ من ترمذ في المضريَّة، فاستولى على بلْخ. ورجع إليه عثمان والنضر فهربوا من ليلتهم، ولم يعن النضر في طلبهم، وقاتلهم عثمان ناحية عنه فانهزم، ورجع أبو داود إلى بلْخ. وسار أبو مسلم إلى نيسابور، ومعه علي بن الكرماني، وقد اتفق مع أبي داود على قتال إبني الكرماني، فقتل أبو داود عثمان في بلْخ، وقتل أبو مسلم عَلِيّاً في طريقه إلى نيسابور.

مسير قحطبة للفتح:

وفي سنة ثلاثين قدم قحطبة بن شبيب على أبي مسلم من عند الإمام إبراهيم، وقد عقد له لواء على محاربة العدوّ، فبعثه أبو مسلم في مقدمته وضم إليه العساكر، وجعل إليه التولية والعزل، وأمر الجنود بطاعته. وقد كان حين غلب على خراسان بعث العمّال على البلاد، فبعث ساعي بن النعمان الأزدي على سمرقند وأبا داود خالد بن إبراهيم على طخارستان، ومحمد بن الأشعث الخزاعي على طبسين، وجعل مالك بن الهيثم على شرطته. وبعث قحطبة إلى طوس ومعه عدّة من القوّاد: أبو عون عَبْد الملك بن يزيد، وخالد بن برمك، وعثمان بن نهيك، وحازم بن خزيمة وغيرهم، فهزم أهل طوس وأفحش في قتلهم. ثم بعث أبو مسلم القاسم بن مجاشع إلى نيسابور على طريق الحجَّــة، وكتب إلى قحطبة بقتال تميم بن نصر بالسودقان،

ومعه الثاني ابن سويد وأصحاب شيبان، وأمدّه بعشرة آلاف مع عليّ بن معقل. فزحف إليهم ودعاهم بدعوته وقاتلهم، فقتل تميم بن نصر وجماعة عظيمة من أصحابه، يقال بلغوا ثلاثين ألفاً، واستبيح معسكرهم، وتحصّن الباقي بالمدينة فاقتحمها عليهم، وخلف خالد بن برمك على قبض الغنائم، وسار إلى نيسابور. فهرب منها نصر بن سيّار إلى قومس، ثم تفرق عنه أصحابه فسار إلى نباتة بن حنظلة بجرجان وكان يزيد بن هبيرة بعثه مدداً لنصر، فأتى فارس وأصبهان، ثم سار إلى الريّ، ثم إلى جرجان. وقدم قحطبة نيسابور، فأقام بها رمضان وشوّال، وارتحل إلى جرجان، وجعل ابنه الحسن على مقدمته، وانتهى إلى جرجان وأهل الشام بها مع نباتة، فهابهم أهل خراسان، فخطبهم قحطبة وأخبرهم أنّ الإمام أخبره أنهم يلقونه مثل هذه العدد فينصرونه عليهم. ثم تقدّم للقتال وعلى ميمنته ابنه الحسن، فانهزم أهل الشام وقتل نباتة في عشرة آلاف منهم، وبعث برأسه إلى أبي مسلم، وذلك في ذي الحجة من السنة، وملك قحطبة جرجان. ثم بلغه أن أهل جرجان يرومون الخروج عليه، فاستعرضهم وقتل منهم نحواً من ثلاثين ألفاً، وسار نصر من قومس إلى خوار الري وعليها أبو بكر العقيليّ، وكتب إلى ابن هبيرة بواسط يستمدّه، فحبس رسله. فكتب مروان إلى ابن هبيرة، فجهز ابن هبيرة جيشاً كثيفاً إلى نصر وعليهم ابن عطيف.

هلاك نصر بن سيار:

ثم بعث قحطبة ابنه الحسن إلى محاصرة نصر في جوار الري في محّرم سنة إحدى وثلاثين، وبعث إليه المدد مع أبي كامل وأبي القاسم محرز بن إبراهيم وأبي العّباس المروزيّ . ولما تقاربوا نزع أبو كامل إلى نصر فكان معه، وهرب جند قحطبة وأصحاب نصر أصابهم شيء من متاعهم، فبعثه نصر إلى ابن هبيرة، فاعترضه ابن عطيف بالري فأخذه فغاضبه نصر، فأقام ابن عطيف بالري. وسار نصر إلى الري وعليها حبيب بن يزيد النهشليّ، فلما قدمها سار ابن عطيف إلى همذان وكان فيها مالك بن أدهم بن محرز الباهلي، فعدل بن عطيف عنها إلى أصبهان وبها عامر بن

ضبارة، وقدم نصر الري فأقام بها يومين ومرض وارتحل. فلما بلغ نهاوند مات لإثني عشر من ربيع الأوّل من السنة ودخل أصحابه همذان.

استيلاء قحطبة علي الريّ:

ولما مات نصر بن سيّار بعث الحسن بن قحطبة خزيمة بن حازم إلى سمنان، وأقبل قحطبة من جرجان، وقدم زياد بن زرارة القشيري وقد كان قدم على طاعة أبي مسلم، واعتزم على اللحاق بابن ضبارة، فبعث قحطبة في أثره المسيَّب بن زهير الضبيّ فهزمه، وقتل عامة من مع ابن معاوية ورجع، ولحق قحطبة ابنه الحسن إلى الريّ فخرج عنها حبيب بن يزيد النهشليّ وأهل الشام، ودخلها الحسن في صفر، ثم لحق به أبوه وكتب برسالة إلى أبي مسلم. وقد أكثر أهل الري إلى بني أُمَيَّة، فأخذ أبو مسلم أملاكهم ولم يردّها عليهم إلا السفاح بعد حين. فأقام قحطبة بالريّ، وكتب أبو مسلم إلى أصبهــبذ طبرستان بالطاعة واداء الخراج فأجاب، وكتب إلى المصمغان صاحب دنباوند وكبير الديلم بمثل ذلك، فأفحش في الردّ. فكتب أبو مسلم إلى موسى بن كعب أن يسير إليه من الري فسار ولم يتمكن منه لضيق بلاده. وكان الديلم يقاتلونه كل يوم، فكثر فيهم الجراح والقتل، ومنعهم الميرة فأصابهم الجوع، فرجع موسى إلى الري، ولم يزل المصمغان متمنــّعاً إلى أيام المنصور، فأغزاه حمّاد بن عمر في جيش كثيف، ففتح دنباوند. ولما ورد كتاب قحطبة على أبي مسلم ارتحل عن مرو ونزل نيسابور، ثم سير قحطبة إبنه الحسن بعد نزوله الريّ بثلاث ليالٍ، فسار عنها مالك بن أدهم وأهل الشام وخراسان إلى نهاوند، ونزل علىً أربعة فراسخ من المدينة، وأمدّه قحطبة بأبي الجهم بن عطية مولى باهلة في سبعمائة وأقام محاصراً لها.

استيلاء قحطبة على أصبهان ومقتل ابن ضبارة وفتح نهاوند وشهرزور:

قد تقدم لنا أنّ ابن هبيرة بعث إبنه داود بن يزيد لقتال عَبْد الله بن معاوية باصطخر،

وبعث معه عامر بن ضبارة فهزموه واتبعوه إلى كرمان سنة تسع وعشرين، فلما بلغ ابن هبيرة مقتل نباتة بجرجان سنة ثلاثين، كتب إلى إبنه داود بن ضبارة بالمسير إلى قحطبة، فسار من كرمان في خمسين ألفاً ونزلوا أصبهان. وبعث إليهم قحطبة جماعة من القوّاد عليهم مقاتل بن حكيم الكعبيّ فنزلوا قمّ، وسار قحطبة إلى نهاوند مدداً لولده الحسن الذي حاصرهم، فبعث مقاتلاً بذلك قحطبة، فسار حتى لحقه، وزحفوا للقاء داود بن ضبارة وهم في مائة ألف، وقحطبة في عشرين ألفاً. وحمل قحطبة وأصحابه فانهزم ابن ضبارة وقتل واحتووا على ما كان في معسكرهم مما لا يعّبر عنه من الأصناف وذلك في رجب .وطّير قحطبة بالخبر إلى إبنه الحسن وسار إلى أصبهان، فأقام بها عشرين ليلة، وقدم على إبنه فحاصروا نهاوند ثلاثة أشهر إلى آخر شوّال، ونصبوا عليها المجانيق وبعث بالأمان إلى من كان في نهاوند من أهل خراسان فلم يقبلوا، فبعث إلى أهل الشام فقالوا أشغل عنا أهل المدينة بالقتال نفتح لك المدينة من ناحيتنا، ففعلوا، وخرجوا إليه جميعاً، فقتلوا أهل خراسان فيهم أبو كامل وحاتم بن شريح وابن نصر بن سيّار وعاصم بن عمير وعليّ بن عقيل وبيهس. وكان قحطبة لمّا جاء إلى نهاوند بعث إبنه الحسن إلى جهات حلوان وعليها عَبْد الله بن العلاء الكنديّ، فتركها وهرب. ثم بعث قحطبة عَبْد الملك بن يزيد ومالك بن طرا في أربعة آلاف إلى شهرزور، وبها عثمان بن سفيان على مقدمته عَبْد الله بن محمد، فقاتلوا عثمان آخر ذي الحجة، فانهزم وقتل. وملك أبو عون بلاد الموصل. وقيل إنّ عثمان هرب إلى عَبْد الله بن مروان، وغنم أبو عون عسكره وقتل أصحابه، وبعث إليه قحطبة بالمدد. وكان مروان بن محمد بحرّان، فسار في أهل الشام والجزيرة والموصل، ونزل الزاب الأكبر وأتوا شهرزور إلى المحرّم سنة إثنتين وثلاثين.

حرب السفاح ابن هبيرة مع قحطبة ومقتلهما وفتح الكوفة:

ولمد قدم على يزيد بن هبيرة إبنه داود منهزماً من حلوان، خرج يزيد للقاء قحطبة في مدد لا يحصى، وكان مروان أمدّه بحوثرة بن سهيل الباهليّ، فسار معه حتى نزل حلوان، واحتفر الخندق الذي كانت فارس احتفرته أيام الواقعة. وأقام وأقبل

قحطبة إلى حلوان، ثم عبر دجلة إلى الأنبار، فرجع ابن هبيرة مبادراً إلى الكوفة. وقدم إليها حوثرة في خمسة عشرة ألفاً، وعبر قحطبة الفرات من الأنبار لثمان من المحرّم سنة إثنتين وثلاثين، وابن هبيرة معسكر على فم الفرات، وعلى ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة، ومعه حوثرة وفلُّ ابن ضبارة. وأشار عليه أصحابه أن يدع الكوفة ويقصد هو خراسان، فيتبعه قحطبة، فأبى إلا البدار إلى الكوفة، وعبر إليها دجلة من المدائن، وعلى مقدمته حوثرة، والفريقان يسيران على جانب الفرات.وقال قحطبة لأصحابه إنّ الإمام أخبرني بأنّ وقعة تكون بهذا المكان والنصر لنا، ثم دلوه على مخاضة فعبر منها، وقاتل حوثرة وابن نباتة فانهزم أهل الشام، وقعد قحطبة وشهد مقاتل العللي بأنّ قحطبة عهد لإبنه الحسن بعده، فبايع جميع الناس لأخيه الحسن، وكان في سرية فبعثوا عنه وولّوه. ووجد قحطبة في جدول هو وحرب بن كم بن أحوز وقيل: إنّ قحطبة لمّا عبر الفرات وقاتل ضربه معن بن زائدة، فسقط وأوصى إذا مات أن يلقى في الماء. ثم انهزم ابن نباتة وأهل الشام ومات قحطبة وأوصى بأمر الشيعة إلى أبي مسلمة الخلّال بالكوفة وزير آل محمد. ولما انهزم ابن نباتة وحوثرة لحقوا بابن هبيرة فانهزم إلى واسط، واستولى الحسن بن قحطبة على ما في معسكرهم وبلغ الخبر إلى الكوفة فثار بها محمد بن خالد القسري بدعوة الشيعة، خرج ليلة عاشوراء، وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثيّ، وعلى شرطته عَبْد الرحمن بن بشير العجلي وسار إلى فهرب زياد ومن معه من أهل الشام ودخل القصر ورجع إليه حوثرة وعن محمد عامة من معه، ولزم القصر. ثم جاء قوم من بجيلة من أصحاب حوثرة، فدخلوا في الدعوة. ثم آخرون من كنانة، ثم آخرون من نجدل فارتحل حوثرة نحوه وكتب محمد إلى قحطبة

وهو لم يعلم بهلاكه، فقرأه الحسن على الناس. وارتحل نحو الكوفة، فصبحها الرابعة من مسيره، وقيل إنّ الحسن بن قحطبة سار إلى الكوفة بعد قتل ابن هبيرة، وعليها عَبْد الرحمن بن بشيرالعجلي، فهـب عنها وسبق محمد بن خالد وخرج في أحد عشر رجلاً، فلقي الحسن ودخل معه، وأتوا إلى أبي مسلمة فاستخرجوه من بني مسلمة وعسكر بالنخيلة، ثم نزل حمام أعين.وبعث الحسن بن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هبيرة، وبايع الناس أبا مسلمة حفص بن سليما ن الخلاّل وزير آل محمد، واستعمل محمد بن خالد القسري على الكوفة وكان يسمّى الأمير حتى ظهر أبو العباس السفاح، وبعث حميد بن قحطبة إلى المدائن في قواد، والمسيَّب بن هبيرة وخالد بن مرمل إلى دير فناء وشراحيل إلى عير وبسّام بن إبراهيم بن بسّام إلى الأهواز، وبها عَبْد الرحمن بن عمر بن هبيرة فقاتله بسّام وانهزم إلى البصرة، وعليها مسلم بن قتيبة الباهلي عاملاً لأخيه. وبعث بسّام في أثره سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب واليا على البصرة، فجمع سالم قيساً ومضر وبني أُمَيَّة. وجاء قائد من قواد ابن هبيرة في ألفي رجل، وجمع سفيان اليمانية وحلفاءهم من ربيعة، واقتتلوا في صفر. وقتل ابن سفيان واسمه معاوية، فانهزم لذلك. ثم جاء إلى سالم أربعة آلاف مدداً من عند مروار،، فقاتل الأزد واستباحهم، ولم يزل بالبصرة حتى قتل ابن هبيرة، فهرب عنها. واجتمع ولد الحارث بن عَبْد المطلب إلى محمد بن جعفر فولّوه أياماً، حتى قدم أبو مالك عَبْد الله بن أسيد الخزاعى من قبل أبي مسلم. فلما بويع أبو العباس السفاح ولاّها سفيان بن معاوية.

بيعة السفاح:

قد كنا قدمنا خبر الدعاة وقبض مروان على إبراهيم بن محمد، وأنه حبسه بحّران، وكان نعى نفسه إلى أهل بيته وأمرهم باللحاق بالكوفة، وأوصى على أخيه أبي العّباس عَبْد الله بن الحرثية. فسار أبو العّباس ومعه أهل بيته، وفي إخوته أبو جعفر المنصور وعبد الوهاب ومحمد ابن أخيه إبراهيم وعيسى ابن أخيه موسى، ومن أعمامه داود وعيسى وصالح

وإسمعيل وعبد الله وعبد الصمد وبنو علي بن عَبْد الله بن عبّاس، وموسى ابن عمه داود ويحيى بن جعفر بن تمام بن العبّاس. فقدموا الكوفة في صفر، وأبو سلمة والشيعة على حمام أعين بظاهر الكوفة، وأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني أود، وكتم أمرهم عن جميع القوّاد والشيعة أربعين ليلة، وأراد فيما زعموا أن يحول الأمر إلى أبي طالب. وسأله أبو الجهم من الشيعة وغيره فيقول :لا تعجلوا ليس هذا وقته.ولقي أبو حميد محمد بن إبراهيم ذات يوم خادم إبراهيم الإمام، وهو سابق الخوارزميّ فسأله عن الإمام فقال: قتل إبراهيم وأوصى إلى أخيه أبي العبّاس، وها هو بالكوفة ومعه أهل بيته. فسأله في اللقاء فقال: حتى أستأذن: وواعده من الغد في ذلك المكان، وجاء أبو حميد إلى أبي الجهم فأخبره وكان في عسكر أبي سلمة، فقال له تلطف في لقائهم. فجاء إلى موعد سابق ومضى معه ودخل عليهم، فسأل عن الخليفة فقال داود بن علي: هذا إمامكم وخليفتكم، يشير إلى أبي العبّاس. فسلم عليه بالخلافة وعزاه بإبراهيم الإمام، ورجع ومعه خادم من خدمهم إلى أبي الجهم، فأخبره عن منزلهم وأن أبا العباس أرسل إلى أبي سلمة أن يبعث إليه كراء الرواحل التي جاؤوا إليها، فلم يبعث إليهم شيئاً. فمشى أبو الجهم وأبو الحميد والخادم إلى موسى بن كعب وأخبروه بالأمر، وبعثوا إلى الإمام مائتي دينار مع خادمه. واتفق رأي القواد على لقاء الإمام، فنهض موسى بن كعب وأبو الجهم عَبْد الحميد بن ربعي وسلمة بن محمد وعبد الله الطائي وإسحق بن إبراهيم وشراحيل وأبو حميد وعبد الله بن بسام ومحمد بن إبراهيم ومحمد بن حصين وسليمان بن الأسود، فدخلوا على أبي العبّاس فسلموا عليه بالخلافة وعزوه في إبراهيم. ورجع موسى بن كعب وأبو الجهم وخلفوا الباقين عند الإمام، وأوصوهم إن جاء أبو سلمة لا يدخلن إلا وحده. وبلغه الخبر فجاء ودخل وحده كما حددوا له، وسلم على أبي العباس بالخلافة، وأمره بالعود إلى معسكره، وأصبح الناس يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، فلبسوا الصُفاح واصطفوا للخروج إلى أبي العباس وأتوه بالدواب وله ولمن معه من أهل بيته، وأركبوهم إلى دار الإمارة.ثم رجع إلى المسجد فخطب وصلى بالناس، وبايعوه ثم صعد المنبر ثانية فقام في أعلاه، وصعد عفه داود فقام دونه وخطب خطبته البليغة المشهورة، وذكر حقهم في الأمر وميراثهم له. وزاد الناس في أعطياتهم وكان موعوكاً فاشتد عليه الوعك فحبس على المنبر. وقام عمه داود على أعلى المراقي فخطب

مثله، وذم سيرة بني أُمَيَّة، وعاهد الناس على إقامة الكتاب والسنة وسيرة النبي، ثم اعتذر عن عود السفاح بعد الصلاة على المنبر، وأنه أراد أن لا يخلط كلام الجمعة بغيرها، وإنما قطعه عن إتمام الكلام شدة الرعك، فادعوا الله له بالعافية. ثم بالغ ذم مروان، وشكر شيعتهم من أهل خراسان، وأن الكوفة منزلهم لا يتخلون عنها، وأنه ما صعد هذا المنبر خليفة بعد رسول الله ^ إلا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وأمير المؤمنين عَبْد الله بن محمد، وأشار إلى السفاح. وأن هذا الأمر فينا ليس بخارج عنا حتى نسلمه لعيسى بن مريم.

ثم نزل أبو العباس وداود أمامه حتى دخل القصر، وأجلس أخاه أبا جعفر في المسجد يأخذ البيعة على الناس حتى جن الليل، وخرج أبو العباس إلى عسكر أبي سلمة ونزل معه في حجرته بينهما ستر. وحاجب السفاح يومئذ عَبْد الله بن بسام. واستخلف على الكوفة عمه داود، وبعث عمه عَبْد الله إلى أبي عون بن يزيد بشهرزور، وبعث ابن أخيه موسى إلى الحسن بن قحطبة وهو يحاصر ابن هبيرة بواسط، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس إلى أحمد بن قحطبة بالمدائن. وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز، وبعث سلمة بن عمر بن عثمان بن مالك بن الطواف. وأقام السفاح بالعسكر شهراً ثم ارتحل، فنزل قصر الإمارة من المدينة الهاشمية، وقد قيل إن داود بن علي وابنه موسى لم يكونا بالشام عند مسير بني العباس إلى الكوفة، وإنهما لقياهم بدومة الجندل فعرفا خبرهم. وقال لهم داود: كيف تأتون الكوفة؟ ومروان بن محمد في حران في أهل الشام والجزيرة، فطل على العراق ويزيد بن هبيرة بالعراق. فقال يا عم: من أحب الحياة ذل فرجع داود وابنه معه.

مقتل إبراهيم بن الإمام:

قد تقدّم لنا أنّ مروان حبسه بحّران، وحبس سعيد بن هشام بن عَبْد الملك وابنيه عثمان ومروان والعّباس بن الوليد بن عَبْد الملك وعبد الله بن عمر بن عَبْد العزيز وأبا محمد السفياني، فهلك منهم في السجن من وباء وقع بحّران :العباس بن الوليد وإبراهيم بن الإمام وعبد الله بن عمر، وخرج سعيد بن هشام ومن معه من المحبوسين بعد أن قتلوا صاحب السجن، فقتلهم الغوغاء من أهل حّران. وكان فيمن قتلوه شراحيل بن مسلمة بن عَبْد الملك وعبد الملك بن بشر الثعلبي، وبطريق أرمينية وإسمه كوشان

وتخلف أبو محمد السفياني في الحبس لم يستحلّ الخروج منه. ولفا قدم مروان منهزماً من الزاب حل عنه فيمن بقي، وقيل إنّ شراحيل بن مسلمة كان محبوساً مع إبراهيم، وكانا يتزاوران ويتهاديان، فدس في بعض الأيام إلى إبراهيم بن الإمام بلبن مسموم على لسان شراحيل فاستطلق بطنه. وقيل إنّ شراحيل قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، احتيل والله عليه، وأصبح ميتاً من ليلته.

هزيمة مروان بالزاب ومقتله بمصر:

قد ذكرنا أنّ قحطبة أرسل أبا عون عَبْد الملك بن يزيد الأزدي إلى شهرزور، فقتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصل ، وأنّ مروان بن محمد سار إليه عن حران في مائة وعشرين ألفاً وسار أبو عون إلى الزاب، ووجه أبو سلمة عيينة بن موسى والمنهال بن قبّان واسحق بن طلحة كل واحد في ثلاثة آلاف مدداً له. فلما بويع أبو العباس وبعث مسلمة بن محمد في ألفين، وعبد الله الطائيّ في ألف وخمسمائة، وعبد الحميد بن ربعي الطائى في ألفين، ودراس بن فضلة في خمسمائة، كلهم مدداً لأبي عون. ثم ندب أهل بيته إلى المسير إلى أبي عون، فانتدب عَبْد الله بن عليّ فسار وقدم على أبي عون، فتحوّل له عن سرادقه بما فيه. ثم أمر عيينة بن موسى بخمسة آلاف تعبر النهر من الزاب أوّل جمادى الأخير سنة إثنتين وثلاثين، وقاتل عساكر مروان إلى المساء. ورجع ففقد مروان الجسر من الغد، وقدم ابنه عَبْد الله، وعبر فبعث عَبْد الله بن عليّ المخارق بن غفّار في أربعة نحو عَبْد الله ان مروان، فسرّح ابن مروان الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم، فانهزم أصحاب المخارق، وأسر هو وجيء به إلى مروان مع رؤوس القتلى. فقال: أنت المخارق ؟ قال :لا . قال: فتعرفه في هذه الرؤوس؟ قال: نعم . قال: هو ذا، فخلّى سبيله. وقيل بل أنكر أن يكون في الرؤوس فخلى سبيله.وعاجلهم عَبْد الله بن عليّ بالحرب قبل أن يفشوا الخبر، وعلى ميمنته أبو عون وعلى ميسرته الوليد بن معاوية. وكان عسكره نحواً من عشرين ألفاً، وقيل إثني عشر. وأرسل مروان إليه في الموادعة فأبى، وحمل الوليد بن معاوية بن مروان

وهو صهر مروان على إبنته، فقاتل أبا عون حتى انهزم إلى عَبْد الله بن علي فأمر الناس فارتحلوا. ومشى قدماً ينادي يا لثارات إبراهيم وبالأشعار يا محمد يا منصور. وأمر مروان القبائل بأن يحملوا فتخاذلوا واعتذروا حتى صاحب شرطته. ثم ظهر له الخلل، فأباح الأموال للناس على أن يقاتلوا فأخذوها من غير قتال. فبعث ابنه عَبْد الله يصدّهم عن ذلك، فتبادروا بالفرار وانهزموا، وقطع مروان الجسر وكان من غرق أكثر ممن قتل. وغرق إبراهيم بن الوليد المخلوع، وقيل بل قتله عَبْد الله بن علي بالشام، وممن قتل يحيى بن علي بن هشام، وكان ذلك في جمادى الأخيرة سنة إثنتين وثلاثين.وأقام عَبْد الله في عسكره سبعة أيام، واجتاز عسكر مروان لمّا فيه. وكتب بالفتح إلى أبي العّباس السفّاح، وسار مروان منهزماً إلى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمر الثعلبي وابن خزيمة الأسدي، فقطعا الجسر ومنعاه العبور إليهم، وقيل هذا أمير المؤمنين، فتجاهلوا وقالوا أمير المؤمن لا يفّر. ثم أسمعوه الشتم والقبائح، فسار إلى حّران وبها أبان ابن أخيه، وسار إلى حمص، وجاء عَبْد الله إلى حّران، فلقيه أبو مسعود فأمنه، ولقي الجزيرة .ولما بلغ مروان حمص أقام بها ثلاثاً وارتحل، فاتبعه أهلها لينهبوه، فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم. وسار إلى دمشق وعليها الوليد بن عمه، فأوصاه بقتال عدوه. وسار إلى فلسطين فنزل نهر أبي فطرس، وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجذامى، فأرسل إلى عَبْد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي فأجاره. ثم سار عَبْد الله بن عليّ في أثره من حّران بعد أن هدم الدار التي حبس فيها أخوه الإمام إبراهيم. وانتهى إلى قنج فأطاعه أهلها، وقدم عليه أخوه عَبْد الصمد، بعثه السفاح مددا فى ثمانية آلاف، وافترق قواد الشيعة على أبواب دمشق فحاصروها أياما. ثم دخلوها عنوة لخمس من رمضان واقتتلوا بها كثيرا، وقتل عاملها الوليد بن معاوية. وأقام عَبْد الله بدمشق خمس عشرة ليلة، وارتحل يريد فلسطين، فأجفل مروان إلى العريش.

وجاء عَبْد الله فنزل نهر أبى فطرس، ووصله هناك كتاب السفاح بأن يبعث صالح بن علي في طلب مروان، فسار صالح في ذي القعدة، وعلى مقدمته أبو عون وعامر بن إسماعيل الحارثي، فأجفل مروان إلى النيل ثم إلى الصعيد، ونزل صالح الفسطاط، وتقدمت عساكره فلقوا خيلا لمروان فهزموهم، وأسروا منهم ودلوهم على مكانه ببوصير. فسار إليه أبو عون وبيته هنالك خوفا من أن

يفضحه الصبح، فانهزم مروان وطعن فسقط في آخر ذي الحجة الحرام وقطع رأسه، وبعث به طليعة أبي عون إليه. فبعثه إلى السفاح، وهرب عَبْد الله وعبيد الله ابنا مروان إلى الحبشة وقاتلوهم، فقتل عبيد الله ونجا عَبْد الله، وبقي إلى أيام المهدي. فأخذه عامل فلسطين، وسجنه المهدي. وكان طليعة أبي عون عامر بن إسماعيل الحارثي، فوجد نساء مروان وبناته في كنيسة بوصير قد وكل بهن خادما يقتلهن بعده، فبعث بهن صالح. ولما دخلن عليه سألنه في الإبقاء فلامهن على قتالهم عند بني أُمَيَّة. ثم عفا عنهن وحملهن إلى حران يبكين. وكان مروان يلقب بالحمار لحرنه في مواطن الحرب. وكان أعداؤه يلقبونه الجعدي نسبة إلى الجعد بن درهم كان يقول بخلق القرآن ويتزندق. وأمر هشام خالداً القسري بقتله فقتله. ثم تتبعوا بني أُمَيَّة بالقتل. ودخل أسديف يوما على السفاح وعنده سليمان بن

هشام وقد أمنه والده فقال:

لا يغرنك ما تري من رجــال   إنّ بين الضلوع داءً دويا
فضع السيف وارفع السوط حتي   لا ترى فوق ظهرها امويّا

فأمر السفاح بسليمان فقتل. ودخل شبل بن عَبْد الله مولى بني هاشم على عَبْد الله بن علي وعنده ثمانون أو تسعون من بني أُمَيَّة يأكلون على مائدته فقال:

#ㄱ أصبح الملك في ثبات الأساس   بالبهاليل من بني العّباس
#ㄴ طلبوا أمر هاشم فنعونا   بعد ميلٍ من الزمان وباس
#ㄷ لا تقيلنَّ عَبْد شمس عثاراً   فاقطعن كل رقلةٍ وغراس
#ㄹ فلنا اظهر التودُّد منهما   وبها منكم كحزّ المواسي
#ㅁ فلقد غاضني وغاض سوائي   قربهم من نمارقٍ وكراســـي
#ㅂ انزلوها بحيث أنزلها الله   بدار الهون والإتعاس
#ㅅ واذكروا مصرع الحسين وزيداً   وقتيلاً بجا نب المهراسس
#ㅇ والقتيل الذي بحران أضحى   ثاوياً رهن غربةٍ ونعاس

فأمر بهم عَبْد الله فشدخوا بالعمد، وبسط من فوقهم الأنطاع فأكل الطعام عليهم، وأنينهم يسمع حتى ماتوا وذلك بنهرابي فطرس. وكان فيمن قتل: محمد بن عَبْد الملك بن مروان، والمعزُّ بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان، وسعيد بن عَبْد الملك وأبو

عبيدة بن الوليد بن عَبْد الملك. وقيل: إنّ إبراهيم المخلوع قتل معهم، وقيل إنّ أسديفاً هو الذي أنشد هذا الشعر للسفاح، وأنه الذي قتلهم. ثم قتل سليمان بن علي بن عَبْد الله بن العّباس بالبصرة جماعة من بني أُمَيَّة، فأمر بأشلائهم في الطرق، فأكلتهم الكلاب، وقيل: إنّ عَبْد الله بن علي أمر بنبش قبور الخلفاء من بني أُمَيَّة، فلم يجدوا في القبور إلاّ شبه الرماد وخيطاً في قبر معاوية، وجمجمة في قبر عَبْد الملك. وربّما وجد فيها بعد الأعضاء إلا هشام بن عَبْد الملك، فإنه وجد كما هو لم يبل، فضربه بالسوط ثم صلبه وحرقه وذراه في الريح، والله أعلم بصحة ذلك. ثم تتبعوا بني أُمَيَّة بالقتل، فلم يفلت منهم إلا الرضعاء أومن هرب إلى الأندلس مثل عَبْد الرحمن بن معاوية بن هشام، وغيرهم ممن تبعه من قرابته كما يذكر في أخبارهم.

بقية الصوائف في الدولة الاموية:

قد انتهينا بالصوائف إلى آخر أيام عمر بن عَبْد العزيز، وفي إثنتين ومائة أيام اليزيد غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية أرمينية وهو على الجزيرة قبل أن يلي العراق، فهزمهم وأسر منهم خلقاً وقتل منهم سبعمائة أسير. وغزا العباس بن الوليد الروم أيضا ففتحها لسنة. ثم غزا سنة ثلاث بعدها فافتتح مدينة رسلة. ثم غزا الجّراح الحكميّ أيام هشام سنة خمس فبلغ وراء بلنجر، وغنم وغزا في هذه السنة سعيد بن عَبْد الملك أرض الروم، وبعث ألف مقاتل في سرية فهلكوا جميعاً. وغزا فيها مروان بن محمد بالصائفة اليمنى، ففتح مدينة قريبة من أرض الزوكخ. ثم غزا سعيد بن عَبْد الملك بالصائفة أيام هشام سنة ست. ثم غزا مسلمة بن عَبْد الملك الروم من الجزيرة وهو والٍ عليها، ففتح قيساريَّة. وغزا إبراهيم بن هشام، ففتح حصناً. وغزا معاوية بن هشام في البحر قبرس، وغزا سنة تسع ففتح حصناً آخر يقال له طبسة. وغزا سنة عشر بالصائفة عَبْد الله بن عقبة الفهريّ ، وكان على جيش البحر عبد الرحمن بن معاوية بن خديج. وغزا بالصائفة اليسرى سنة إحدى عشرة معاوية بن هشام، وبالصائفة اليمنى سعيد بن هشام، وفي البحر عَبْد الله بن أبي مريم. وافتتح معاوية في

صائفة ثلاث عشرة سنة خرشفة. وغزا سنة ثلاث عشرة عَبْد الله البطّال، فانهزم فثبت عَبْد الوهاب من أصحابه فقتل. ودخل معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية مرعش. ثم غزا سنة أربع عشرة بالصائفة اليسرى وأصحاب ربض أفرق. والتقى عَبْد الله البطال مع قسطنطين، فهزمه البطال وأسره. وغزا سليمان بن هشام بالصائفة اليسرى، فبلغ قيسارّية. وهزم مسلمة بن عَبْد الملك خاقان وباب الباب. وغزا معاوية بن هشام بالصائفة سنة خمس عشرة. وغزا سفيان بن هشام بالصائفة اليسرى سنة سبع عشرة، وسليمان بن هشام بالصائفة اليمنى من ناحية الجزيرة، وفرّق السرايا في أرض الروم وبعث فيها مروان بن محمد من أرمينية فافتتحوا من أرض اللان أهلها أخذها قومانساه صلحاً. وغزا معاوية وسليمان أيضاً أرض الروم سنة ثماني عشرة. وغزا فيها مروان بن محمد من أرمينية، ودخل أرض وارقيس، فهرب وارقيس إلى الحرور ونازل حصنه فحاصره. وقتل وارقيس بعض من اجتاز به، وبعث برأسه إلى مروان، ونزل أهل الحصن على حكمه، فقتل وسبى. وغزا سنة تسع عشرة مروان بن محمد من ارمينية ومّر ببلاد اللّان إلى بلاد الخزر على بلنجر وسمندر، وانتهى إلى خاقان، فهرب خاقان منه. وغزا سليمان بن هشام سنة عشرين بالصائفة فافتتح سندرة، وغزا إسحق بن مسلم الحقيلي قومانساه، وافتتح قلاعه وخرب أرضه. وغزا مروان من أرمينية سنة إحدى وعشرين، وأفنى قلعة بيت السرير فقتل وسبى، ثم قلعة أخرى كذلك، ودخل عزسك وهو حصن الملك فهرب منه الملك ودخل

حصناً له يسمى جرج، فيه سرير الذهب، فنازله مروان حتى صالحه على ألف فارس كل سنة، ومائة ألف مدني. ثم دخل أرض أرزق ونصران فصالحه ملكها، ثم أرض تومان كذلك، ثم أرض حمدين فأخرب بلاده، وحصر حصناً له شهراً حتى صالحه، ثم أرض مسداد ففتحها على صلح. ثم نزل كيلان فصالحه أهل طبرستان وكيلان. وكل هذه الولايات على شاطىء البحر من أرمينية إلى طبرستان. وغزا مسلمة بن هشام الروم في هذه السنة فافتتح بها مطامير. وفي سنة إثنتين وعشرين بعدها قتل البطّال وإسمه عَبْد الله بن الحسين الأنطاكي، وكان كثير الغزو في بلاد الروم والإغارة عليهم. وقدّمه مسلمة على عشرة آلاف فارس، فكان يغزو بلاد الروم إلى أن قتل هذه السنة. وفي سنة أربعة وعشرين غزا سليمان بن هشام بالصائفة على عهد أبيه، فلقي أليون ملك الروم فهزمه وغنم، وفي سنة خمسة وعشرين خرجت الروم إلى حصن زنطره، وكان افتتحه حبيب بن مسلمة الفهري وخزينة الروم، وبنى بناء غير محكم فأخربوه ثانية أيام مروان. ثم بناه الرشيد وطرقه الروم أيام المأمون فشعبوه فأمر ببنائه وتحصينه. ثم طرقوه أيام المعتصم وخبره معروف. وفي هذه السنة غزا الوليد بن يزيد بالصائفة أخاه العمر، وبعث الأسود بن بلال المحاربي بالجيش في البحر إلى قبرس ليجير أهلها بين الشام والروم فافترقوا فريقين. وغزا أيام مروان سنة ثلاثين بالصائفة الوليد بن هشام ونزل العمق وبنى حصن مرعش.

عمال بني أُمَيَّة علي النواحي:

استعمل معاوية أوّل خلافته سنة أربعين عَبْد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة، ثم عزله واستعمل المغيره بن شعبة على الصلاة، واستعمل على الخراج وكان على النقباء بها شريح، وكان حمران بن أبان قد وثب على البصرة عندما صالح الحسن معاوية، فبعث معاوية بشر بن أرطأة على البصرة وأمدّه، فقتل أولاد زياد بن أبيه، وكان عاملاً على فارس لعليّ بن أبي طالب. فقدم البصرة وقد ذكرنا خبره مع بني زياد فيما قبل. ثم ولّى على البصرة عَبْد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عَبْد شمس، وضم إليه خراسان وسجستان، فجعل على شرطته حبيب بن شهاب، وعلى القضاء عميرة بن تبرى، وقد تقدّم لنا أخبار قيس في خراسان. وكان عمرو بن العاص علي مصر كما تقدّم، فوّلى سنة إحدى وأربعين من قبله على أفريقية عقبة بن نافع بن عَبْد قيس، وهو ابن خالته، فانتهى إلى لواتة ومزاتة فأطاعوه ثم كفروا، فغزاهم وقتل وسبى. ثم افتتح سنة إثنتين وأربعين بعدها غذامس وقتل وسبى، وافتتح سنة ثلاثة وأربعين بعدها بلد ودّان. وولّى معاوية بالمدينة سنة إثنتين وأربعين مروان بن الحكم، فاستقضى عَبْد الله بن الحرث بن نوفل، وولّى معاوية على مكّة في هذه السنة خالد بن العاص بن هشام، وكان على أرمينية حبيب بن مسلمة الفهريّ وولاه عليها معاوية ومات سنة إثنتين وأربعين فولى مكانه

واستعمل ابن عامر في هذه السنة على ثغر الهند عَبْد الله بن سوار العبدي، ويقال ولّاه معاوية. وعزل ابن عامر في هذه السنة قيس بن الهيثم عن خراسان وولّى مكانه الحرث بن عَبْد الله بن حازم. ثم عزل معاوية عَبْد الله بن عامر عن البصرة سنة أربع وأربعين، وولىّ مكانه الحرث بن عَبْد الله الأزدى، ثم عزله لأربعة أشهر، وولى أخاه زياداً سنة

خمس وأربعين. فولىّ على خراسان الحكم بن عمر الغفاريّ، وجعل معه على الخراج أسلم بن زرعة الكلابي. ثم مات الحكم فولىّ خليد بن عَبْد الله الحنفيّ سنة سبع وأربعين. ثم ولّى على خراسان سنة ثمان بعدها غالب بن فضالة الليثيّ، وتولى عمرو بن العاص سنة تسع وأربعين فولى مكانه سعيد بن العاص، فعزل عَبْد الله بن الحرث عن الفضاء، واستقضى أبا سلمة بن عَبْد الرحمن. وفي سنة خمسين توفي المغيرة بن شعبة فضم الكوفة إلى أخيه زياد، فجاء إليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب، وكان يقسم السنة بين المصريين في الإقامة نصفاً بنصف. وفي سنة خمسين هذه اقتطع معاوية أفريقية عن معاوية بن خديج بمصر، وولىّ عقبه بن نافع الفهريّ، وكان مقيماً ببرقة وزويلة من وقت فتحها أيام عمرو بن العاص، فأمده بعشرة آلاف، فسار إليها. وانضاف إليه من أسلم من البربر ودوّخ البلاد وبنى بالقيروان، وأنزل عساكر المسلمين، ثم استعمل معاوية على مصر وأفريقية مولاه أبا المهاجر، فأساء عزل عقبة. وجاء عقبة إلى الشام فاعتذر إليه معاوية ووعده بعمله، ومات معاوية فولّاه يزيد سنة إثنتين وستين. وذكر الواقدي أن عقبة ولي سنة إثنتين وستين واستعمل أبا المهاجر فولي الأمصار، فحبس عقبة وضيق عليه، وأمره يزيد بإطلاقه، فوفد عقبة فأعاده إلى عمله. فحبس أبا المهاجر وخرج غازياً وأثخن حتى قتله كسيلة كما يأتي في أخباره. وفي سنة إحدى وخمسين ولّى زياد على خراسان الربيع بن زياد الحرث مكان خليد بن عَبْد الله الحنفي. وفي سنة ثلاث وخمسين توفي زياد واستخلف على البصرة سمرة بن جندب، وعلى الكوفة عَبْد الله بن خالد بن أسيد. ثم ولى الضحّاك بن قيس سنة خمس بعدها. وفي هذه السنة مات الربيع بن زياد عامل خراسان قبل موت زياد، واستخلفه ابنه عَبْد الله، ومات لشهرين. واستخلف خليد بن يربوع الحنفي، وكان على صفا بيروز الديلميّ من قبل معاوية، فمات سنة ثلاث وخمسين. وفي سنة أربع وخمسين عزل معاوية عن المدينة سعيد بن العاص، وردّ إليها مروان بن الحكم، ثم عزله سنة سبعة وولىّ مكانه الوليد بن عقبة بن أبي سفيان. وعزل سنة تسعة وخمسين عن البصرة ابن جندب، وولىّ مكانه عَبْد الله بن عمر بن غيلان، وولىّ على خراسان عبيد الله بن زياد، ثم ولّاه سنة خمس بعدها على البصرة مكان بن غيلان. ثم ولىّ على خراسان سنة ستة وخمسين سعيد بن عثمان بن عفّان. وفي سنة ثمانية وخمسين عزل معاوية عن الكوفة الضحّاك بن قيس، واستعمل مكانه ابن أمّ الحكم وهي

أخته، وهو عَبْد الرحمن بن عثمان الثقفي، وطرده أهل الكوفة فولاّه مصر.فردّه معاوية بن خديج، وولىّ مكانه على الكوفة سنة تسعة وخمسين النعمان بن بشير، وولى فيها على خراسان عَبْد الرحمن بن زياد. فقدم إليها قيس بن الهيثم السلمي، فحبس أسلم بن زرعة، فأغرمه ثلثمائة ألف درهم. ثم مات معاوية سنة ستين وولاته على النواحي من ذكرناه، وعلى سجستان عبّاد بن زياد، وعلى كرمان شريك بن الأعور. وعزل يزيد لأول ولايته الوليد بن عقبة عن المدينة والحجاز، وولاّها عمر بن سعيد الأشدق. ثم عزله سنة إحدى وستين، ورد الوليد بن عقبة، وولىّ على خراسان سالم بن زياد، فبعث سالم إليها الحرث بن معاوية الحرثي، وبعث أخاه يزيد إلى سجستان، وكان بها أخوهما عبّاد فخرج عنهما. وقاتل يزيد أهل كابل فهزموه، فبعث مسلم على سجستان طلحة الطلحات، وهو طلحة بن عَبْد الله بن خلف الخزاعي فبقي سنة، وبعث سنة إثنتين وستين عقبة بن نافع إلى أفريقية، فحبس أبا المهاجر واستخلف على القيروان زهير بن قيس البلوي كما نذكر في أخباره. وتوفي في هذه السنة مسلمة بن مخلد الأنصاريّ أمير مصر. ثم هلك يزيد سنة أربع وستين، واستخلف على أهل العراق عبيد الله بن زياد. وولى أهل البصرة عليهم عَبْد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عَبْد المطّلب ويلقب ببَّة، وهرب ابن زياد إلى الشام. وجاء إلى الكوفة عامر بن مسعود من قبل ابن الزبير، وبلغه خلاف أهل الري وعليهم الفرَّخان، فبعث عليهم محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب فهزموه، فبعث عتّاب بن ورقاء فهزمهم. ثم بويع مروان وسار إلى مصر فملكها من يد عبد الرحمن بن حجَّام القرشيّ داعية ابن الزبير وولىّ عليها عمر بن سعيد. ثم بعثه للقاء مصعب بن الزبير، لمّا بعثه أخوه عَبْد الله إلى الشام، وولّى على مصر ابنه عَبْد العزيز فلم يزل عليها والياً إلى أن هلك لسنة خمسة وثمانين، فولىّ عَبْد الملك عليها ابنه عَبْد الله بن عَبْد الملك. وخلع أهل خراسان بعد يزيد سالم بن زياد، واستخلف المهلّب بن أبي صفرة، ثم ولىّ مسلم عَبْد الله بن حازم، فاستبدّ بخراسان إلى حين. ثم أخرج أهل الكوفة عمر بن حريث خليفة بن زياد، وبايعوا لابن الزبير، وقدم المختار بن أبي عبيد أميراً على الكوفة

من قبله بعد ستة أشهر من مهلك يزيد، وامتنع شريح من القضاء أيام الفتنة

واستعمل ابن الزبير على المدينة أخاه مصعباً سنة خمس وستين مكان أخيه عَبْد الله، وثار بنو تميم بخراسان على عَبْد الله بن حازم فغلبه عليها بكير بن وشّاح. وغلب المختار على ابن مطيع عامل ابن الزبير بالكوفة سنة ست وستين(ثم مات) مروان سنة خمس وستين، وولي عَبْد الملك. وولى ابن الزبير أخاه مصعباً على البصرة، وولى مكانه بالمدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهري. ثم ملك عَبْد العزيز العراق سنة إحدى وسبعين، واستعمل على البصرة خالد بن عَبْد الله بن أسد، وعلى الكوفة أخاه بشر بن مروان، وكان على خراسان عَبْد الله بن حازم بدعوة ابن الزبير، فقام بكير بن وشاح التميمي بدعوة عَبْد الملك وقتله، وولاه عَبْد الملك خراسان. وكان على المدينة طلحة بن عَبْد الله بن عوف بدعوة ابن الزبير بعد جابر بن الأسود،

فبعث عَبْد الملك طارق بن عمر مولى عثمان، فغلبه عليها. ثم قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين، وانفرد عَبْد الملك بالخلافة، وولى على الجزيرة وأرمينية أخاه محمداً. وعزل خالد بن عَبْد الله عن البصرة، وضمها إلى أخيه بشر، فسار إليها واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث. وولى على الحجاز واليمن واليمامة الحجاج بن يوسف، وبعثه من الكوفة لحرب ابن الزبير. وعزل طارقاً عن المدينة وسار من جنده. وفي سنة أربع وسبعين استقضى أبا إدريس الخولاني، وأمر بشر أخاه أن يبعث المهلب بن أبي صفرة لحرب الأزارقة. وعزل عن خراسان بكير بن وشاح، وولى مكانه أُمَيَّة بن عَبْد الله بن خالد بن أسيد، فبعث أُمَيَّة ابنه عَبْد الله على سجستان. وكان على أفريقية زهير بن قيس البلوي، فقتله البربر سنة تسع وستين. وشغل عَبْد الملك بفتنة ابن الزبير، فلما فرغ منها بعث إلى أفريقية سنة أربع وسبعين حسان بن النعمان القيساني في عساكر لم ير مثلها، فأثخن فيها وافترقت جموع الروم

والبربر. وقتل الكاهنة كما يذكر في أخبار أفريقية.

ثم ولى عَبْد الملك سنة خمس وسبعين الحجاج بن يوسف على العراق فقط، وولى على السند سعيد بن أسلم بن زرعة، وقتل في حروبها، وكان أمر الخوارج. وفي سنة ست وسبعين ولى على المدينة إبان بن عثمان، وكان على قضاء الكوفة شريح. وعلى قضاء البصرة زرارة بن أبي أوفى بعد هشام بن هبيرة، وعلى قضاء المدينة عَبْد الله بن قشير بن مخرمة. ثم كانت حروب الخوارج كما نذكر في أخبارهم. وفي سنة ثمان وسبعين عزل عَبْد الملك أُمَيَّة بن عَبْد الله عن خراسان وسجستان وضمهما إلى الحجاج بن يوسف، فبعث الحجاج على خراسان المهلب بن أبي صفرة، وعلى سجستان عَبْد الله بن أبي بكرة، وولى على قضاء البصرة موسى بن أنس، واستعفى شريح بن الحرث من القضاء بالكوفة، فولى مكانه أبا بردة بن أبي موسى، ثم ولى على قضاء البصرة عَبْد الرحمن بن اذينة. وخرج عَبْد الرحمن بن الأشعث، فملك سجستان وكرمان وفارس والبصرة، ثم قتل ورجعت إلى حالها، وذلك سنة إحدى وثمانين.

وفي سنة إثنتين وثمانين مات المهلب بن أبي صفرة، واستخلف ابنه يزيد على خراسان، فأقره الحجاج. وفي هذه السنة عزل عَبْد الملك أبان بن عثمان عن المدينة، وولى مكانه هشام بن إسماعيل المخزومي، فعزل هشام نوفل بن مساحق عن القضاء، وولى مكانه عمر بن خالد الزرقي. وبنى الحجاج مدينة واسط. وفي سنة خمس وثمانين عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن خراسان، وولى مكانه هشام أخاه المفضل قليلاً، ثم ولي قتيبة بن مسلم وتوفي عَبْد الملك. وعزل الوليد لأول ولايته هشام بن إسماعيل عن المدينة وولى مكانه عمر بن عَبْد العزيز، فولى على القضاء أبا بكر بن عمرو بن حزم، وولى الحجاج على البصرة الجراح بن عَبْد الله الحكمي، وولى على قضائها عَبْد الله بن أذينة، وعلى قضاء الكوفة أبا بكر بن أبي موسى الأشعري. وفي سنة تسع وثمانين ولى الوليد على مكة خالد بن عَبْد الله القسري، وكان على ثغر السند محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، وهو ابن عم الحجاج. ففتح السند وقتل ملكه. وكان على مصر عَبْد الله بن عَبْد الملك، ولاه عليها أبوه ففل ملكها. فعزله الوليد في هذه السنة وولى مكانه قرة بن شريك، وعزل خالداً عن الحجاز، وولى عمر بن عَبْد العزيز.

وفي سنة إحدى وتسعين عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأرمينية، وولى مكانه أخاه مسلمة بن عَبْد الملك، وكان على طندة في قاصية المغرب طارق بن زياد عاملاً لمولاه موسى بن نصير

عامل الوليد بالقيروان، فأجاز البلاد والبحر إلى بلاد الأنـدلس، وافتتحهـا سنة إثنتين وتسعين كما يذكر في أخبارهـا. وفـي سـنة ثلاث وتسـعين عـزل عمر بن عَبْد العزيز عن الحجاز وولى مكانه خالد بـن عَبْـد اللـه علـى مكـة، وعثمان بن حيان على المدينة.

ومات الحجاج سنة خمس وتسعين، ثم مات الوليد سنة ست وتسـعين، وفيها قتل قتيبة بن مسلم لانتقاضه على سليمان، وولاها سـليمان يزيـد بـن المهلب. وفيها مات قرة بن شريك ، وكان على المدينة أبو بكر بـن محمـد بن عمر بن حزم، وعلى مكة عَبْد العزيز بـن عَبْـد اللـه بـن خالـد بـن أسـيد، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن موسى، وعلى قضـاء البصـرة عَبْـد الرحمـن بن أذينة وفي سنة سبع وتسعين، عزل سليمان بـن موسـى بـن نصـير عـن أفريقية وولى مكانه محمد بـن يزيـد القرشـي حـتى مـات سـليمان فعـزل. واستعمل عمر مكانه إسمعيل بن عَبْد الله. وفي سـنة ثمـان وتسـعين كـان فتح طبرسـتان وجرجـان أيـام سـليمان بـن عَبْـد الملـك علـى يـد يزيـد بـن المهلب.

وفي سنة تسع وتسعين استعمل عمر بن عَبْد العزيز على البصرة عدي بن أرطـاة الفـزاري، وأمـره بإبقـاء يزيـد بـن المهلـب موثوقـاً، فـولى علـى القضاء الحسن بن أبي الحسن البصري، ثم إياس بن معاوية، وعلى الكوفـة عَبْد الحميد بن عد الرحمن بن يزيد بن الخطـاب. وولـى علـى المدينـة عَبْـد العزيز بن أرطاة، وولى على خراسـان الجـراح بـن عَبْـد اللـه الحكمـي، ثـم عزل سنة مائة. وولي عَبْد الرحمن بن نعيم القرشي، وولـى علـى الجزيـرة عمر بن هبيرة الفزاري، وعلى أفريقيـة إسـمعيل بـن عَبْـد اللـه مـولى بنـي مخزوم، وعلى الأندلس السمح بن مالك الخولاني.

ثم في سنة إحدى ومائة عزل إسمعيل عن أفريقية، وولاها يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج، فلم يزل عليها إلى أن قتـل. وفـي سـنة إثنـتين ومائـة ولى يزيد بن عَبْد الملك أخاه مسلمة علـى العـراق وخراسـان، فـولى على خراسان سعيد بن عَبْد العزيز بن الحرث بن الحكم بن أبي العاص بن أُمَيَّـة، ويقال له سعيد خدينة. ثم استحيا من مسلمة في أمر الجراح فعزله، وولـى مكانه ابن يزيد بن هبيرة. فجعل على قضاء الكوفة القاسم

ابن عَبْد الرحمن بن عَبْد الله بن مسعود، وعلى قضاء البصرة عَبْد الملك بن يعلى. وكان على مصر أسامة بن زيد، وليها بعد قرة بن شريك، وولى ابن هبيرة على خراسان سعيداً الحرشي مكان حذيفة.

وفي سنة ثلاث ومائة جمع يزيد مكة والمدينة لعبد الرحمن بن الضحاك،وعزل عَبْد العزيز بن عَبْد الله بن خالد عن مكة وعن الطائف، وولى مكانه عَبْد الواحد بن عَبْد الله البصري.

وفي سنة أربع ومائة ولى يزيد على أرمينية الجراح بن عَبْد الله الحكمي، وعزل عَبْد الرحمن بن الضحاك عن مكة والمدينة لثلاث سنين من ولايته، وولى عليهما مكانه عَبْد الواحد البصري، وعزل ابن هبيرة سعيداً الحرشي عن خراسان، وولى عليها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي. وولى على قضاء الكوفة الحسين بن حسين الكندي.

ومات يزيد بن عَبْد الملك سنة خمس، وولي هشام فعزل ابن هبيرة عن العراق، وولي مكانه خالد بن عَبْد الله القسري، واستعمل خالد على خراسان أخاه أسداً سنة سبع ومائة. وعزل مسلم بن سعيد وولى على البصرة عقبة بن عَبْد الأعلى، وعلى قضائها ثمامة بن عبدالله بن أنس. وولى على السند الجنيد بن عَبْد الرحمن. واستعمل هشام على الموصل الحر بن يوسف، وعزل عَبْد الواحد البصري عن الحجاز، وولى مكانه إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، واستقضى بالمدينة محمد بن صفوان الجمحي، ثم عزله واستقضى الصلت الكندي. وعزل الجراح بن عَبْد الله عن أرمينية وأذربيجان، وولى مكانه أخاه مسلمة، فولى عليها الحرث بن عمرو الطائي.

وكان على اليمن سنة ثمان يوسف بن عمر. وفي سنة تسع عزل خالد أخاه أسداً عن خراسان، وولى هشام عليها أشرس بن عَبْد الله السلمي، وأمره أن يكاتب خالداً بعد أن كان خالد ولى الحكم بن عوانة الكلبي مكان أخيه فلم يقر، فعزله هشام. ومات في سنة تسع عامل القيروان بشر بن صفوان، فولى هشام مكانه عبيدة بن عَبْد الرحمن بن الأغر السلمى، فعزل عبيدة يحيى بن سلمة الكلبي عن الأندلس، واستعمل حذيفة بن الأخوص الأشجعي. ثم عزل لستة أشهر، ووليها عثمان بن أبي تسعة الخثعمي. وفي سنة عشر ومائة جمع خالد الصلاة والأحداث والشرط والقضاء بالبصرة لبلال بن أبي بردة، وعزل ثمامة عن القضاء. وفي سنة إحدى عشرة عزل هشام عن خراسان أشرس بن عَبْد الله، وولى مكانه الجنيد بن عَبْد الرحمن بن الحرث بن خارجة بن

سنان بن أبي حارثة المري، وولى على أرمينية الجـراح بـن عَبْـد اللـه الحكمي، وعزل مسلمة. وفيها عزل عبيدة بن عَبْد الرحمن عامـل أفريقيـة، وعثمان بن أبي تسعة عن الأندلس، وولى مكانه الهيثم بن عبيد الكناني.

وفي سنة إثنتي عشرة قتل الجراح بن عَبْد الله صـاحب أرمينيـة، قتلـه التركمان فولى هشام مكانه سعيدا الحرشي، ومات الهيثم عامل الأنـدلس، وولوا على أنفسهم مكانه محمد بن عَبْد الله الأشجعي شهرين، وبعـده عَبْـد الرحمن بن عَبْد الله الغافقي من قبيـل ابـن عَبْـد الرحمـن السـلمي عامـل أفريقية، وغزا إفرنجة فاستشهد. فولى عبيدة مكانه عَبْـد الملـك بـن قطـن الفهري، وعزل عبيدة عن أفريقية وولى مكانه عبيد الله بن الحجاب، وكـان على مصر فسار إليها.

وفي سنة أربع عشرة عزل هشـام مسـلمة عـن أرمينيـة وولـى مكـانه مروان بن محمد بن مروان، وعزل إبراهيم بـن هشـام عـن الحجـاز، وولـى مكانه على المدينة خالد بن

عَبْد الملك بن الحرث بن الحكم، وعلى مكة والطائف محمد بن هشـام المخزومـي. وفـي سـنة سـت عشـرة ومائـة عـزل هشـام الجنيـد بـن عَبْـد الرحمن المري عن خراسـان، وولـى مكـانه عاصـم بـن عَبْـد اللـه بـن يزيـد الهلالي. وفيها استعمل عَبْد الله بن الحجاب على الأندلس عقبة بن الحجـاج القيسي مكان عَبْد الملك بن قطن ففتـح خليـتيه. وفـي سـنة سـبع عشـرة ومائة عزل هشام عاصم بن عَبْد الله عن خراسان وولى مكانه خالد بن عَبْد اللـه القسـري، فاسـتخلف خالـد أخـاه أسـداً. وولـى هشـام علـى أفريقيـة والأندلس عبيد الله بن الحجاب، وكان علـى مصـر فسـار إليهـا. واسـتخلف على مصر ولده. وولى على الأندلس عقبة بـن الحجـاج، وعلـى طنجـة ابنـه إسمعيل. وبعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازيـاً إلـى المغـرب، فبلغ السوس الأقصى وأرض السودان وفتح وغنم. وأغزاه إلى صـقلية سـنة إثنتين وعشرين ومائة ففتح أكثرها. ثم استدعاه لفتنـة ميسـرة كمـا نـذكره في أخبارهم.

وفي سنة ثمان عشرة عزل هشام عن المدينة خالد بن عَبْد الملـك بـن الحرث، وولى مكانه محمد بن هشام بن إسمعيل. وفي سنة عشـرين مـات أسد بن عَبْد الله الخراساني وولي مكانه نصر بن سيار. وعزل هشـام خالـد القسري عن جميع أعماله بـالعراقين وخراسـان، وولـى مكـانه يوسـف بـن عمر الثقفي

استقدمه إليها من ولاية اليمن. فأقر نصر بن سيار على خراسان، وكان على قضاء الكوفة ابن شرمة وعلى قضاء البصرة عامر بن عبيدة. وولى يوسف بن عمر بن شرمة على سجستان، واستقضى مكانه محمد بن عَبْد الرحمن بن أبي ليلى. وكان على قضاء البصرة إياس بن معاوية بن قرة، فمات في هذه السنة. وفي سنة ثلاث وعشرين، قتل كلثوم بن عياض الذي بعثه هشام لقتال البربر بالمغرب. وتوفي عقبة بن الحجاج أمير الأندلس، وقيل بل خلعوه. وولي مكانه عَبْد الملك بن قطن ولايته الثانية كما يذكر. وفي سنة أربع وعشرين ظهر أمر أبي مسلم بخراسان، وتلقب بلخ على الأندلس، ثم مات. وكان سار إليها من فل كلثوم بن عياض لمّا قتله البربر بالمغرب. وولى هشام على الأندلس أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي، فأمر حنظلة بن صفوان أن يوليه فولاه. وكان ثعلبة بن خزامة سلامة الجرابي قد ولوه بعد بلخ، فعزله أبو الخطار.

وفي هذه السنة ولي الوليد بن يزيد خالد بن يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي

على الحجاز فأسره. ثم قتل الوليد سنة ست وعشرين، فعزل يزيد عن العراق يوسف بن عمر، وولى مكانه منصور بن جمهور، فبعث عامله على خراسان، فامتنع نصر بن سيار من تسليم العمل له. ثم عزل يزيد منصور بن جمهور وولى مكانه على العراق عَبْد الله بن عمر بن عَبْد العزيز، وغلب حنظلة على أفريقية عَبْد الرحمن بن حبيب كما يذكر في خبرها. وعزل يزيد عن المدينة يوسف بن محمد بن يوسف، وولى مكانه عَبْد العزيز بن عمر بن عثمان، وغلب سنة سبع وعشرين عَبْد الله بن معاوية بن عَبْد الله بن جعفر على الكوفة، وولى مروان على الحجاز عَبْد العزيز بن عمر بن عَبْد العزيز، وعلى العراق النضر بن سعيد الحرشي. وامتنع ابن عمر من استلام العمل إليه، ووقعت الفتنة بينهم. ولحق ابن عمر بالخوارج كما يذكر في أخبارهم. واستولى بنو العباس على خراسان.

وفي سنة تسع وعشرين ولي يوسف بن عَبْد الرحمن الفهري على الأندلس بعد نوابة بن سلامة كما يأتي في أخبارهم. وولى مروان على الحجاز عَبْد الواحد وعلى العراق يزيد بن عمر بن هبيرة. وفي سنة ثلاثين ملك أبو مسلم

خراسان، وهرب عنها نضر بن سيار فمات بنواحي همذان سنة إحـدى وثلاثين. وجاء المسودة وعليهـم قحطبـة، فطلبـوا ابـن هـبيرة على العـراق وملكوه، وبايعوا خليفتهم أبا العباس السفاح. ثم غلبوا مـروان علـى الشـام ومصر وقتلوه. وانقرض أمر بني أُمَيَّة، وعاد الأمـر والخلافـة لبنـي العبـاس. والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده. وهـذه أخبـار بنـي أُمَيَّـة مخلصـة مـن كتاب أبي جعفر الطبري. ولنرجع إلى أخبار الخوارج كما شرطنا في أخبارها بالذكر. والله المعين لا رب غيره.

الخوارج

الخبر عن الخوارج وذكر أوليتهم وتكرر خروجهم في الملة الإسلامية

قد تقدم لنا خبر الحكمين فـي حـرب صـفين، واعـتزل الخـوارج عليـاً منكرين للتحكيم مكفرين به، ولاطفهم في الرجوع عن ذلك، ونـاظرهم فيـه بوجه الحق فلجوا وأبوا إلا الحرب. وجعلوا شعارهم النداء بلا حكـم إلا اللـه. وبايعوا عَبْد الله بن وهب الراسـبي. وقـاتلهم علـي بـالنهروان، فاسـتلحمهم أجمعين. ثم خرج من فلهم طائفة

بالأنبار، فبعث إليهم من استلحمهم. ثم طويفة أخرى مع هلال بن علية، فبعث معقل بن قيس فقتلهم. ثم أخرى ثالثة كذلك، ثم أخرى على المـدائن كذلك، ثم أخرى بشهرزور كذلك. وبعث شـريح بـن هـانىء فهزمـوه فجـرح واستلحمهم أجمعين، واستأمن من بقي فأمنهم، وكانوا نحو خمسين.

وافترق شمل الخوارج، ثم اجتمـع مـن وجـدانهم الثلاثـة الـذين توعـدوا لقتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص. فقتل بالسهم عَبْد الرحمن بن ملجم علياً رضي الله عنه وباء بإثمه، وسلم الباقون. ثم اتفقت الجماعة على بيعة معاوية سنة إحدى وأربعين، واستقل معاوية بخلافة الإسلام. وقد كان فـروة بن نوفل الأشجعي اعتزل علياً والحسن، ونزل شهرزور وهو في خمسـمائة من الخوارج. فلما بويع معاوية قال فروة لأصحابه: قد جـاء الحـق فجاهـدوا واقبلوا، فنزلوا النخيلة عند الكوفة، فاستنفر معاويـة أهـل الكوفـة فخرجـوا لقتالهم، وسألوا أهل الكوفة أن يخلوا بينهم وبيـن معاويـة فـأبوا، فـاجتمعت أشجع على فروة وأتوا له من القتال

ودخلوا الكوفة قهراً واستعمل الخوارج بعده عَبْد الله بن أبي الحريشي من طيىء. وقاتلوا أهل الكوفة، فقاتلوا وابن أبي الحريشي معهم. ثم اجتمعوا بعده على حوثرة بن وداع الأسدي وقدموا إلى النخيلة في مائة وخمسين، ومعهم فل بن أبي الحريشي. وبعث معاوية إلى حوثرة أباه ليرده عن شأنه فأبى، فبعث إليهم عَبْد الله بن عوف في معسكر فقتله وقتل أصحابه، إلا خمسين دخلوا الكوفة وتفرقوا فيها، وذلك في جمادى الأخيرة سنة إحدى وأربعين. وسار معاوية إلى الشام وخلف المغيرة بن شعبة، فعاد فروة بن نوفل الأشجعي إلى الخروج. فبعث إليه المغيرة خيلاً عليها ابن ربعي، ويقال معقل بن قيس، فلقيه بشهرزور فقتله. ثم بعث المغيرة إلى شبيب بن أبجر من قتله، وكان من أصحاب ابن ملجم. وهو الذي أتى معاوية يبشره بقتل علي، فخافه على نفسه وأمر بقتله. فتنكر بنواحي الكوفة إلى أن بعث المغيرة من قتله.

ثم بلغ المغيرة أن بعضهم يريد الخروج، وذكر له معن بن عَبْد الله المحاربي فحبسه، ثم طالبه بالبيعة لمعاوية فأبى فقتله، ثم خرج على المغيرة أبو مريم مولى بني الحرث بن كعب، فأخرج معه النساء. فبعث المغيرة من قتله وأصابه. ثم حكم أبو ليلى في المسجد بمشهد الناس، وخرج في إثنين من الموالي، فأتبعه المغيرة معقل بن قيس الرياحي، فقتله بسور الكوفة سنة إثنتين وأربعين. ثم خرج على ابن عامر في البصرة سهم بن غانم الجهني في سبعين رجلاً منهم الحطيم، وهو يزيد بن خالك الباهلي، ونزلوا بين الجسرين والبصرة. ومر بهم بعض الصحابة منقلباً من الغزو فقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه، وقالوا: هؤلاء كفرة. وخرج إليهم ابن عامر فقتل منهم عدة وأمن باقيهم. ولما أتى زياد البصرة سنة خمس وأربعين، هرب منهم الحطيم إلى الأهواز، وجمع ورجع إلى البصرة فافترق عنه أصحابه، فاختفى وطلب الأمان من زياد فلم يؤمنه، ثم دل عليه فقتله وصلبه بداره. وقيل بل قتله عَبْد الله بعد زياد سنة أربع وخمسين.

ثم اجتمع الخوارج بالكوفة على المستورد بن عقلة التيمي من تيم الرباب، وعلى حيان بن ضبيان السلمي، وعلى معاذ بن جوين الطائي، وكلهم من فل النهروان الذين ارتموا في القتلى، ودخلوا الكوفة بعد مقتل علي، واجتمعوا في أربعمائة في منزل حيان بن ضبيان، وتشاوروا في الخروج، وتدافعوا الإمارة. ثم اتفقوا على المستورد وبايعوه في جمادى الأخيرة. وكبسهم المغيرة في منزلهم، فسجن حيان وأفلت

المستورد، فنزل الحيرة، واختلف إليه الخوارج، وبلغ المغيرة خبرهم فخطب الناس وتهدد الخوارج، فقام إليه معقل بن قيس فقال: ليكفك كل رئيس قومه.

وجاء صعصعة بن صوحان إلى عَبْد القيس، وكان عالماً بمنزلهم عند سليم بن مخدوج العبدي إلا أنه لا يسلم عشيرته، فخرجوا ولحقوا بالصراة في ثلثمائة فجهز إليهم معقل بن قيس في ثلاثة آلاف، وجعل معظمهم من شيعة علي، وخرج معقل في الشيعة، وجاء الخوارج ليعبروا النهر إلى المدائن فمنعهم عاملها سمال بن عَبْد العبسي ودعاهم إلى الطاعة على الأمان فأبوا، فساروا إلى المذار. وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم فبعث شريك بن الأعور الحارثي في ثلاثة آلاف من الشيعة، وجاء معقل بن قيس إلى المدائن وقد ساروا إلى المذار، فقدم بين يديه أبا الرواع الشاكري في ثلثمائة، وسار ولحقهم أبو الرواع بالمذار فقاتلهم.

ثم لحقه معقل بن قيس متقدّما أصحابه عند المساء، فحملت الخوارج عليه فثبت وباتوا على تعبية، وجاء الخبر إلى الخوارج بنهوض شريك بن الأعور من البصرة فأسروا من ليلتهم راجعين. وأصبح معقل واجتمع بشريك، وبعث أبا الرواع في أتباعهم في ستمائة، فلحقهم بجرجان فقاتلهم فهزمهم إلى ساباط وهو في اتباعهم. ورأى المستورد أن هؤلاء مع أبي الرواع حماة أصحاب معقل، فتسرب عنهم إلى معقل وأبو الرواع في اتباعه. ولما لحق بمعقل قاتلهم قتالاً، وأدركهم أبو الرواع بعد أن لقي كثيراً من أصحاب معقل منهزمين فردهم، واقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل المستورد معقلا، طعنه بالرمح فأنفذه، وتقدم معقل والرمح فيه إلى المستورد، فقسم دماغه بالسيف وماتا جميعاً. وأخذ الراية عمر بن محرز بن شهاب التميمي بعهد معقل بذلك. ثم حمل الناس على الخوارج فقتلوهم ولم ينج منهم إلا خمسة أو ستة.

وعند ابن الكلبي أن المستورد من تيم من بني رباح. خرج بالبصرة أيام زياد قريب الأزدي، ورجاف الطائي ابنا الخالة، وعلى البصرة سمرة بن جندب وقتلوا بعض بني ضبة، فخرج عليهم شبان من بني علي وبني راسب فرموهم بالنبل، وقتل قريب وجاء عَبْد الله بن أوس الطائي برأسه، واشتد زياد في أمر الخوارج وسمرة وقتلوا منهم خلقاً. ثم خرج سنة إثنتين وخمسين على زياد بن حراش العجلي في ثلثمائة بالسواد فبعث إليهم زياد سعد بن حذيفة في خيل فقتلوهم، وخرج أيضا أصحاب المستورد حيان بن ضبيا ن ومعاذ من طيىء، فبعث إليهما من قتلهما وأصحابهما. وقيل بل استأمنوا وافترقوا.

ثم اجتمع بالبصرة سنة ثمان وخمسين سبعون رجلاً من الخوارج من عَبْد

القيس، وبايعوا طواف بن على أن يفتكوا بابن زياد، وكان سبب ذلك أن ابن زياد حبس جماعة من الخوارج بالبصرة، وحملهم على قتل بعضهم بعضاً وخلى سبيل القاتلين ففعلوا وأطلقهم، وكان منهم طواف. ثم ندموا وعرضوا على أولياء المقتولين القود والدية فأبوا، وأفتاهم بعض علماء الخوارج بالجهاد لقوله تعالى: {**ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا**ؤ} الآية، فاجتمعوا للخروج كما قلنا. وسعى بهم إلى ابن زياد، فاستعجلوا الخروج وقتلوا رجلاً ومضوا إلى الجلحاء كما قلنا. فندب ابن زياد الشرط والمحاربة فقاتلوهم. فانهزم الشرط أولاً ثم كثرهم الناس فقتلوا عن آخرهم، واشتد ابن زياد على الخوارج، وقتل منهم جماعة كثيرة، منهم عروة بن أدية أخو مرداس وأدية أمهما، وأبوهما جرير بن تميم.

وكان وقف على ابن زياد يوماً يعظه فقال: أتبنون بكل ربع آية تعبثون الآيات؟. فظن ابن زياد أن معه غيره، فأخذه وقطعه وقتل إبنيه. وكان أخوه مرداس من عظمائهم وعبادهم، وممن شهد النهروان بالاستعراض. ويحرم خروج النساء، ولا يرى بقتال من لا يقاتله. وكانت امرأته من العابدات من بني يربوع وأخذها ابن زياد فقطعها. وألح ابن زياد في طلب الخوارج وقتلهم، وخلى سبيل مرداس من بينهم لمّا وصف له من عبادته، ثم خاف فخرج إلى الأهواز. وكان يأخذ مال المسلمين إذا مرّ به، فيعطي منه أصحابه وبرد الباقي.

وبعث ابن زياد إليهم أسلم بن زرعة الكلابي في ألفي رجل، ودعاهم إلى معاودة الجماعة فأبوا وقاتلوهم، فهزموا أسلم وأصحابه. فسرح إليهم ابن زياد عباد بن علقمة المازني ولحقهم بتوج وهم يصلون، فقتلهم أجمعين ما بين راجع وساجد لم يتغيروا عن حالهم. ورجع إلى البصرة برأس أبي بلال مرداس، فرصده عبيدة بن هلال في ثلاثة نفر عند قصر الإمارة ليستفتيه فقتلوه، واجتمع عليهم الناس فقتلوا منهم. وكان على البصرة عبيد الله بن أبي بكرة، فأمره زياد بتتبع الخوارج إلى أن تقدم فحبسهم، وأخذ الكفلاء على بعضهم، وأتى بعروة بن أدية فقال: أنا كفيلك وأطلقه.

ولما جاء ابن زياد قتل المحبوسين منهم والمكفولين، وطالب ابن أبي بكرة بعروة بن أدية، فبحث عنه حتى ظفر به، وجاء به إلى ابن زياد فقطعه وصلبه سنة ثمان وخمسين. ثم مات يزيد واستفحل أمر ابن الزبير بمكة، وكان الخوارج لمّا اشتدّ عليهم ابن زياد بعد قتل أبي بلال مرداس أشار عليهم

نافع بن الأزرق منهم باللحاق بـابن الزبيـر، لجهـاد عسـاكر يزيـد، لمّـا ساروا إليه قالوا: وإن لم يكن على رأينا داحضاً عن البيت، وقـاموا يقـاتلون معه فلما مات يزيد وانصرفت العساكر كشفوا عـن رأي ابـن الزبيـر فيهـم، وجاؤه يرمون من عثمان ويتبرؤن منه فصرح بمخالفتهم. وقـال بعـد خطبـة طويلة أثنى فيها على الشيخين وعلي وعثمان، واعتـذر عنـه فيمـا يزعمـون وقال: أشهدكم ومن حضرني أنـي ولـي لابـن عفـان وعـدو لأعـدائه، قـالوا: فبرىء الله منك قال بل برىء الله منكـم ! فـافترقوا عنـه.وأقبـل نـافع بـن الأزرق الحنظلي، وعبد الله بن صفار السعدي، وعبد الله بن أباض وحنظلـة بن بيهس، وبنو الماخور: عَبْد الله وعبيـد اللـه والزبيـر مـن بنـي سـليط بـن يربوع وكلهم من تميم، حى أتوا البصرة. وانطلق أبو طالوت عـن بنـي بكـر بن وائل، وأبو فديك عَبْد الله بن نور بن قيس بن ثعلبة بن الأسود اليشـكري إلى اليمامة، فوثبوا بها مع أبي طالوت. ثم تركوه ومالوا عنه إلى نجـدة بـن عامر الحنفي.

ومن هنا افترقت الخوارج على أربع فـرق: الأزارقـة أصـحاب نـافع بـن الأزرق الحنفـي، وكـان رأيـه الـبراءة مـن سـائر المسـلمين وتكفيرهـم، والاستعراض وقتل الأطفال واستحلال الأمانـة لأنـه يراهـم كفـاراً. والفرقـة الثانية النجدية وهم بخلاف الأزارقة في ذلك كلـه. والفرقـة الثالثـة الإباضـية أصحاب عَبْد الله بن إباض المري، وهم يرون أن المسلمين كلهم يحكم لهم بحكم المنافقين، فلا ينتهـون إلـى الـرأي الأوّل، ولا يقفـون عنـد الثـاني، ولا يحرمون مناكحة المسلمين ولا موارثتهم، ولا المنافقين فيهم، وهـم عنـدهم كالمنافقين، وقول هؤلاء أقرب إلى السـنة. ومـن هـؤلاء البيهسـية أصـحاب أبي بيهس هيصم بن جابر الضبعي. والفرقة الرابعة الصفرية وهم موافقون للإباضية إلا في العقدة، فإن الإباضية أشد على العقدة منهم.وربما اختلفـت هذه الآراء من بعد ذلك، واختلف في تسمية الصفرية، ففيل نسبوا إلى ابـن صفار وقيـل اصـفروا بمـا نهكتهـم العبـادة. وكـانت الخـوارج مـن قبـل هـذا الافتراق على رأي واحد لا يختلفون إلا في الشـاذ مـن الفـروع. وفـي أصـل اختلافهم هذا مكاتبات بين نافع بن الأزرق وأبي بيهس وعبد اللـه بـن إبـاض ذكرها المبرد في كتاب الكامل فلينظر هناك.(ولمـا جـاء نـافع) إلـى نـواحي البصرة سنة أربع وستين، فأقام بالأهواز يعترض الناس، وكان على البصـرة عَبْد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عَبْد المطلب. فسرح إليه مسلم عبس بن كويز بن ربيعة من أهل البصرة بإشارة الأحنف بن قيـس، فـدافعه عن نواحي البصرة وقاتله بالأهواز، وعلى ميمنة مسلم الحجاج بن

باب الحميري، وعلى ميسرته حارثة بن بدر العداني. وعلى ميمنة ابن الأزرق عبيدة بن هلال، وعلى ميسرته الزبير بن الماخور التميمي. فقتل مسلم، ثم قتل نافع، وأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب، والخوارج عَبْد الله بن الماخور. ثم قتل الحجاج وعبد الله، فأمر أهل البصرة ربيعة بن الأخدم، والخوارج عبيد الله بن الماخور. ثم اقتتلوا حتى أمسوا، وجاء إلى الخوارج مدد فحملوا على أهل البصرة فهزموهم. وقتل ربيعة وولوا مكانه حارثة بن بدر، فقاتل وردهم على الأعقاب ونزل الأهواز. ثم عزل عن البصرة عَبْد الله بن الحرث، وبعث ابن الزبير عليها الحرث القباع بن أبي ربيعة، فزحف الخوارج إلى البصرة وأشار الأحنف بن قيس بتولية المهلب حروبهم، وقد كان ابن الزبير ولاه خراسان، فكتبوا لابن الزبير بذلك فأجاب. واشترطوا للمسلم ما سأل من ولاية ما غلب عليه، والإعانة بالأموال، فاختار من الجند إثني عشر ألفاً، وسار إليهم فدفعهم عن الجسر. وجاء حارثة بن بدر بمن كان معه في قتال الخوارج، فردهم الحرث إلى المهلب. وركب حارثة البحر يريد البصرة فغرق في النهر. وسار المهلب وعلى مقدمته إبنه المغيرة فقاتلهم المقدمة ودفعوهم عن سوق الأهواز إلى مادر. ونزل المهلب بسولاف، وقاتله الخوارج وصدقوا الحملة، فكشفوا أصحاب المهلب. ثم ترك من الغد قتالهم وقطع دجيل ونزل العقيل، ثم ارتحل فنزل قريباً منهم، وخندق عليه وأذكى العيون والحرس.وجاء منهم عبيدة بن هلال والزبير بن الماخور في بعض الليالي ليبيتوا عسكر المهلب فوجدوهم حذرين. وخرج إليهم المهلب من الغد في تعبية، والأزد وتميم في ميمنته، وبكر وعبد القيس في ميسرته، وأهل العالية في القلب. وعلى ميمنة الخوارج عبيدة بن هلال اليشكري، وعلى ميسرتهم الزبير بن الماخور، واقتتلوا ونزل الصبر. ثم، شدوا على الناس فأجفل عسكر المهلب وانهزم، وسبق المنهزمين إلى ربوة ونادى فيهم، فاجتمع له ثلاثة آلاف أكثرهم من الأزد فرجع بهم وقصد عسكر الخوارج، واشتد قتالهم ورموهم بالحجارة، وقتل عَبْد الله بن الماخور وكثير منهم وانكفؤا راجعين إلى كرمان وناحية أصبهان منهزمين، واستخلفوا عليهم الزبير بن الماخور، وأقام المهلب بمكانه حتى جاء مصعب بن الزبير أميراً على البصرة وعزل

المهلب.(وأمَّا نجدة) وهو نجدة بن عامر بن عَبْد الله بن سيار بن مفرج الحنفي، وكان مع نافع بن الأزرق. فلما افترقوا سار إلى اليمامة ودعا أبو طالوت إلى نفسه، وهو من بكر بن وائل، وتابعه نجدة ونهب الحضارم بلد بني حنيفة، وكان فيها رقيق كثير يناهز أربعة آلاف، فقسمها في أصحابه، وذلك سنة خمس وستين. واعترض عيراً من البحرين جاءت لابن الزبير، فأخذها وجاء بها إلى أبي طالوت، فقسمها بين أصحابه. ثم رأى الخوارج أن نجدة خير لهم من أبي طالوت، فخالفوه وبايعوا نجدة. وسار إلى بني كعب بن ربيعة فهزمهم وأثخن فيهم، ورجع نجدة إلى اليمامة في ثلاثة آلاف، ثم سار إلى البحرين سنة سبع وستين، فاجتمع أهل البحرين من عَبْد القيس وغيرهم على محاربته. وسالمته الأزد والتقوا بالعطيف، فانهزمت عَبْد القيس، وأثخن فيهم نجدة وأصحابه، وأرسل سرية إلى الخط فظفروا بأهله. ولما قدم مصعب بن الزبير البصرة سنة تسع وستين، بعث عَبْد الله بن عمر الليثي الأعور في عشرين ألفاً، ونجدة بالعطيف فقاتلوهم، وهزمهم نجدة وغنم ما في عسكرهم. وبعث عطية بن الأسود الحنفي من الخوارج إلى عمان، وبها عباد بن عَبْد الله شيخ كبير، فقاتله عطية فقتله، وأقام أشهراً وسار عنها. واستخلف عليها بعض الخوارج، فقتله أهل عمان وولوا عليهم سعيداً وسليمان ابني عباد.ثم خالف عطية نجدة وجاء إلى عمان، فامتنعت منه. فركب البحر إلى كرمان، وأرسل إليه المهلب جيشاً فهرب إلى سجستان، ثم إلى السند، فقتله خيل المهلب بقندابيل. ثم بعث نجدة المعرفين إلى البوادي بعد هزيمة ابن عمير، فقاتلوا بني تميم بكاظمة وأعانهم أهل طويلع، فبعث نجدة من استباحهم وأخذ منهم الصدقة كرهاً. ثم سار إلى صنعاء فبايعوه وأخذ الصدقة من مخالفيها. ثم بعث أبا فديك إلى حضرموت، فأخذ الصدقة منهم. وحج سنة ثمان وستين في تسعمائة رجل، وقيل في ألفين، ووقف ناحية عن ابن الزبير على صلح عقد بينهما.ثم سار نجدة إلى المدينة وتأهبوا لقتاله، فرجع إلى الطائف وأصاب بنتاً لعبد الله بن عمر بن عثمان، فضمها إليه. وامتحنه الخوارج بسؤاله بيعها فقال: قد أعتقت نصيبي منها. قالوا: فزوجها، قال: هي أملك بنفسها، وقد كرهت الزواج. ولما قرب من الطائف جاءه عاصم بن عروة بن مسعود فبايعه عن قومه، وولىّ عليهم الخازرق، وعلى يبانة والسراة. وولىّ على

ما يلي نجران سعد الطلائع، ورجع إلى البحرين، وقطع الميرة عن الحرمين. وكتب إليه ابن عباس أو ثمامة بن أثاك لمّا أسلم قطع الميرة عن مكة وهم مشركون، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة فخلاها لهم، وانك قطعت الميرة ونحن مسلمون، فخلاها لهم نجدة.ثم اختلف إليه أصحابه لأن أبا سنان حيي بن وائل أشار عليه بقتل من أطاعه تقية، فانتهره نجدة وقال: إنما علينا أن نحكم بالظاهر. وأغضبه عطية في منازعة جرت بينهما على تفضيله لسرية البرّ على سرية البحر في الغنيمة، فشتمه نجدة فغضب. وسأله في درء الحدّ في الخمر عن رجل من شجعانهم، فأبى. وكاتبه عَبْد الملك في الطاعة على أن يوليه اليمامة، ويهدر لهم ما أصاب من الدماء. فاتهموه في هذه المكاتبة ونقموا عليه أمثال هذه، وفارقه عطية إلى عمان. ثم انحازوا عنه وولوا أمرهم أبو فديك عَبْد الله بن ثور أحد بني قيس بن ثعلبة. واستخفى نجدة، وألح أبو فديك في طلبه، وكان مستخفياً في قرية من قرى حجر. ثم نذر به فذهب إلى أخواله من تميم، وأجمع المسير إلى عَبْد الملك، فعلم به أبو فديك، وجاءت سرية منهم وقاتلهم فقتلوه. وسخط قتله جماعة من أصحاب أبي فديك، واعتمده مسلم بن جبير فطعنه إثنتي عشرة طعنة، وقتل مسلم لوقته، وحمل أبو فديك إلى منزله،ثم جاء مصعب إلى البصرة سنة ثمان وستين والياً على العراقين عن أخيه، وكان المهلب في حرب الأزارقة فأراد مصعب أن يوليه بلاد الموصل والجزيرة وأرمينية، ليكون بينه وبين عَبْد الملك. فاستقدمه من فارس وولاّه، وولىّ على فارس وحرب الأزارقة عمر بن عَبْد الله بن معمر. وكان الخوارج قد ولوّا عليهم بعد قتل عَبْد الله بن الماخور سنة خمس وستين أخاه الزبير، فجاؤا به إلى إصطخر، وقدم عمر ابنه عبيد الله إليهم فقتلوه، ثم قاتل الزبير عمر فهزمهم وقتل منهم سبعون. وفلق قطري بن الفجاءة، وشتر صالح بن مخراق، وساروا إلى نيسابور فقاتلهم عمر بها وهزمهم، فقصدوا أصبهان فاستحموا بها. ثم أقبلوا إلى فارس وتجنبوا عسكر عمر، ومروا على ساجور ثم أرجان، فأتوا الأهواز قاصدين العراق. وأغذ عمر السير في أثرهم، وعسكر مصعب عند الجسر. فسار الزبير والخوارج، فقطع أرض صرصر، وشن الغارة على أهل المدائن يقتلون الولد ان، والرجال ويبقرون بطون الحبالىوهرب صاحب المدائن عنها، وانتهت جماعة منهم إلى الكرخ، فقاتلهم أبو

بكر بن مخنف فقتلوه، وخرج أمير الكوفة وهو الحرث بـن أبـي ربيعـة القباع حتى انتهى إلى الصراة، ومعه إبراهيم بن الأشتر، وشبيب بـن ربعـي، وأسماء بن خارجة، ويزيد بن الحرث، ومحمد بن عمير، وأشاروا عليـه بعقـد الجسر والعبور إليهم، فانهزموا إلى المدائن. وأمر الحرث عَبْد الرحمـن بـن مخنف باتباعهم في ستة آلاف إلى حـدود أرض الكوفـة، فـانتهوا إلـى الـري وعليها يزيد بن الحرث بـن دويـم الشـيباني، ومـا والاهـم عليـه أهـل الـري، فهزموه وقتلوه. ثم انحطوا إلى أصبهان وبها عتاب بن ورقاء، فحاصروه أشهراً، وكان يقـاتلهم علـى بـاب المدينـة.ثـم دعـا إلـى الاسـتماتة فـي قتالهم، فخرجوا وقاتلوهم، وانهزمت الخـوارج، وقتـل الزبيـر واحتـووا علـى معسكرهم. ثم بايع الخوارج قطري بن الفجاءة المـازني ويكنـى أبـا نعامـة، وارتحل بهم إلى كرمان حتى استجمعوا فرجعوا إلى أصبهان فامتنعت، فأتوا الأهواز وقاموا. وبعث مصعب إلى المهلب فرده إلى قتـال الخـوارج، وولـى على الموصل والجزيرة إبراهيم بن الأشتر، وجاء المهلـب فـانتجعت النـاس من البصرة، وسار إلى الخـوارج فلقيهـم بسـولاف. واقتتلـوا ثمانيـة أشـهر، وبعث مصعب إلى عتاب بن ورقاء الرباحي عامل أصبهان بقتال أهـل الـري بما فعله في ابن دويم، فسار إليهم وعليهم الفرخان فقاتلهم وافتتحها عنوة وقلاعها وعاث في نواحيها.

خبر ابن الحر ومقتله:

كان عبيد الله بن الحمر الجعفي من خيـار قـومه صـلاحاً وفضـلاً، ولمـا قتل عثمان حزن عليه، وكان مع معاوية على علي، وكانت له زوجة بالكوفة فتزوجت لطول مغيبه. فأقبل من الشـام وخاصـم زوجهـا إلـى علـي، فعـدد عليه شهوده صـفين. فقـال: أيمنعنـي ذلـك مـن عـدلك؟ قـال: لا. ورد إليـه امرأته. فرجع إلى الشام وجاء إلى الكوفة بعـد مقتـل علـي، ولقـي إخـوانه وتفاوضوا في النكير علـى علـي ومعاويـة. ولمـا قتـل الحسـين تغيـب علـى ملحمته، وسأل عنه ابن زياد فلم يـره. ثـم لقيـه فأسـاء عـذله، وعـرض لـه بالكون مع عدوه، فأنكر وخرج مغضباً. وراجح ابن زياد رأيه في فطلبـه فلـم يجده، فبعث عنه فامتنع وقال: أبلغـوه أنـى لا آتيـه طائعـاً أبـدا وأتـى منـزل أحمد بن

زياد الطائي، فاجتمع اليه أصحابه، وخرج إلى المدائن، ومضى لمصارع الحسين وأصحابه فاستغفر لهم، ولما مات يزيد و وقعت الفتنه اجتمع إليه أصحابه، وخرج بنواحى، المدائن، ولم يعترض للقتل ولا للمال، إنما كان يأخذ مال السلطان متى لقيه، فيأخذ منه عطاءه وعط اء أصحابه ويرد الباقي، ويأخذ لصاحب المال بما أخذ.وحبس المختار إمرأته بالكوفة، وجاء فأخرجها من الحبس، وأخرج كل من فيه. وأراد المختار أن يسطو به، فمنعه إبراهيم بن الأشتر إلى الموصل لقتال ابن زياد. ثم فارقه ولم يشهد معه، وشهد مع مصعب قتال المختار وقتله. ثم أغرى به مصعب فحبسه، وشفع فيه رجال من وجوه مذحج فشفعهم وأطلقه، وأتى إليه الناس يهنؤونه. فصرخ بأن أحداً لا يستحق بعد الأربعة، ولا يحل أن يعقد لهم بيعة في أعناقنا، فليس لهم علينا من الفضل ما يستحقون به ذلك، وكلهم عاص مخالف، قوي الدنيا ضعيف الآخرة، ونحن أصحاب الأيام مع فارس، ثم لا يعرف حقاً وفضلنا، وإني قد أظهرت لهم العداوة.

وخرج للحرب فأغار، فبعث إليه مصب سيف بن هانىء المرادي يعرض عليه الطاعة على أن يعطيه قطعة من بلاد فارس، فأبى فسرح إليه الأبرد بن فروة الرياحيّ في عسكر، فهزمه عبيد الله، فبعث إليه حريث بن زيد فهزمه فقتله، فبعث إليه الحجّاج بن حارثة الخثعمي ومسلم بن عمر فقاتلهما بنهر صرصر وهزمهما، فأرسل إليه مصعب بالأمان والولاية فلم يقبل. وأتى إلى فرس فهرب دهقانها بالمال، وتبعه ابن الحر إلى عين النمر وعليه بسطام بن معلقة بن هبيرة الشيبانى، فقاتل عبيد الله. ووافاهم الحجّاج بن حارثة فهزمهما عبيد الله وأسرهما، وأخذ المال الذي مع الدهقان.

وأقام بتكريت ليجبي الخراج، فسرح مصعب لقتاله الأبرد بن فروة الرياحي، والجون بن كعب الهمداني في ألف وأمدهم المهلّب بيزيد بن المعقل في خمسمائة، وقاتلهم عبيد الله يومين في ثلاثمائة. ثم تحاجزوا وقال لأصحابه إني سائر بكم إلى عَبْد الملك فتجهزوا! ثم قال: إني خائف أن أموت ولم أذعر مصعباً، وقصد الكوفة وجاءته العساكر من كل جهة. ولم يزل يهزمهم ويقتل منهم بنواحي الكوفة والمدائن. وأقام يغير بالسواد ويجبي الخراج. ثم لحق بعبد الملك فأكرمه وأجلسه معه على سريره، وأعطاه مائة ألف درهم، وقسّم في أصحابه الأعطيات، وسأل من عَبْد الملك أن يوجّه معه عسكراً لقتال مصعب فقال: سر بأصحابك وادع من قدرت عليه وأنا ممدك بالرجال، فسار نحو الكوفة ونزل بناحية الأنبار، وأذن لأصحابه في

إتيان الكوفة ليخبروا أصحابه بقدومه. وبعث الحارث بن أبي ربيعة إليه جيشاً كثيفاً، فقاتلهم وتفرّق عنه أصحابه، وأثخنه الجراح فخاض البحر إلى سفينة فركبها حتى توسط الفرات، فأشرفت خيالة على السفينة وتبادروا به، فقام يمشي في البحر فتعلقوا به فألقى نفسه في الماء مع بعضهم فغرّقوه.

حروب الخوارج مع عَبْد الملك والحجاج :

ولما استمر عَبْد الملك بالكوفة بعد قتل مصعب بعث على البصرة خالد بن عَبْد الله، وكان المهلّب يحارب الأزارقة، فولاه على خراج الأهواز. وبعث أخاه عَبْد العزيز بن عَبْد إلى قتال الخوارج، ومعه مقاتل بن مسمع، وأتت الخوارج من ناحية كرمان إلى دارابجرد، وبعث قطري بن الفجاءة صالح بن مخراق في تسعمائة، فاستقبل عَبْد العزيز ليلاً على غير تعبية فانهزم. وقتل مقاتل بن مسمع وأسرت بنت المنذر بن الجارود امرأة عَبْد العزيز، فقتلها الخوارج.

وتغير عَبْد العزيز إلى رامهرمز. وكتب خالد بالخبر إلى عَبْد الملك فكب إليه ، على ولاية أخيه الحرب وولاية المهلب جباية الخراج، وأمره بأن يسرح المهلب بحربهم. وكتب إلى بشر بالكوفة بإمداده بخمسة آلاف مع من يرضاه، فإذا فرغوا من قتال الخوارج ساروا إلى الري فكانوا هنالك مسلحة، فأنفذ بشر العسكر وعليهم عَبْد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكتب له عهده على الري، وخرج خالد بأهل البصرة، ومعه المهلّب واجتمعوا بالأهواز. وجاءت الأزارقة فأحرقوا السفن. ومر المهلّب بعبد الرحمن بن الأشعث وأمره أن يخندق عليه، وأقاموا كذلك عشرين ليلة. ثم زحف الخوارج بالناس، فهال الخوارج كثرتهم وانصرفوا.

وبعث خالد داود بن قحدم في اثارهم، وانصرف إلى البصرة، وكتب بالخبر إلى عَبْد الملك. فكتب إلى أخيه بشر أن يبعث أربعة آلاف من أهل الكوفة إلى فارس ويلحقوا بداود بن قحدم في طلب الأزارقة. فبعث بهم بشر بن عتاب، ولحقوا بداود واتبعوا الخوارج حتى أصابهم الجهد، ورجع عامتهم مشاة إلى الأهواز.

(ثم خرج أبو فديك) من بني قيس بن ثعلب، فغلب على البحرين، وقتل نجدة بن عامر الحنفي كما مر. وهزم خالدا فكتب إلى عَبْد الملك بذلك، وأمر عَبْد الملك عمر بن عبيد الله بن معمر أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة، ويسير لقتال أبي فديك. فانتدب معه عشرة آلاف، وسار بهم وأهل الكوفة على ميمنته عليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، وأهل البصرة في ميسرته عليهم عمر بن موسى أخيه، وهو في القلب. وانتهوا إلى البحرين، واصطفوا للقتال، وحملوا على أبي فديك وأصحابه، فكشفوا ميسرته حتى أبعدوا إلا المغيرة بن المهلب ومجاعة وعبد الرحمن وفرسان الناس، فإنهم مالوا إلى أهل الكوفة بالميمنة ورجع أهل الميسرة. وحمل أهل الميمنة على الخوارج فهزموهم واستباحوا عسكرهم، وقتلوا أبا فديك وحصروا أصحابه بالمشقر حتى نزلوا على الحكم، فقتل منهم ستة آلاف وأسر ثمانمائة، وذلك سنة ثلاث وسبعين. ثم ولى عَبْد الملك أخاه بشراً على البصرة، فسار إليها، وأمره أن يبعث المهلب إلى حرب الأزارقة، وأن ينتخب من أهل البصرة من أراد، ويتركه ورأيه في الحرب، ويمده بعسكر كثيف من أهل الكوفة مع رجل معروف بالنجدة. فبعث المهلب لانتخاب الناس جديع بن سعيد بن قبيصة، وشق على بشر ولاية المهلب من عَبْد الملك وأوغرت صدره. فبعث على عسكر الكوفة عَبْد الرحمن بن مخنف، وأغراه بالمهلب فـي ترك مشورته، وتنغصه. وسار المهلب إلى رامهرمز

وبها الخوارج، وأقبل ابن مخنف في أهل الكوفة، فنزل على ميل منه بحيث يتراءى العسكران. ثم أتاهم نبأ بشر بن مروان، وأنه استخلف خالد بن عَبْد الله بن خالد على البصرة، وخليفته على الكوفة عمر بن حريث، فافترق ناس كثيرة من أهل البصرة وأهل الكوفة فنزلوا الأهواز، وكتب إليهم خالد بن عَبْد الله يتهددهم فلم يلتفتوا إليه. وأقبل أهل الكوفة إلى الكوفة، وكتب إليهم عمر بن حريث بالنكير والعود إلى المهلب، ومنعهم الدخول فدخلوا ليلاً إلى بيوتهم.

(ثم قدم الحجاج) أميراً على العراقين سنة خمس وسبعين، فخطب بالكوفة خطبته المعروفة كان منها: "ولقد بلغني رفضكم المهلّب وإقبالكم إلى مصركم عاصين مخالفين، وأيم الله لا أجد أحداً متخلفاً عن عسكره بعد ثلاثة إلا ضربت عنقه، وأنهب داره". ثم دعا العرفاء وقال: ألحقوا الناس بالمهلّب وأتوني بالبراءة بموافاتهم، ولا تغلقن أبواب الجسر. ووجد عمر بن ضابىء من المتخلفين، وأخبر أنه من قتلة عثمان فقتله. فأخرج جند المهلب وازدحموا على الجسر، وجاء العرفاء إلى المهلب برامهرمز

فأخذوا كتابه بموافاة الناس، وأمرهم الحجّاج بمناهضة الخوارج، فقاتلوهم شيئاً ثم انزاحوا إلى كازرون، وسار المهلّب وابن مخنف فنزلوا بهم. وخندق المهلب ولم يخندق ابن مخنف، وبيتهم الخوارج فوجدوا المهلب حذراً، فمالوا إلى ابن مخنف فانهزم عنه أصحابه وقاتل حتى قتل. وفي حديث أهل الكوفة أنهم لمّا ناهضوا الخوارج مالوا إلى المهلب واضطروه إلى معسكره، وأمده عَبْد الرحمن بعامة عسكره وبقي في خفّ من الجند. فمال إليه الخوارج، فنزل ونزل معه القراء وواحد وسبعون من أصحابه فقتلوا، وجاء المهلب من الغد فدفنه وصلى عليه، وكتب بالخبر إلى الحجّاج، فبعث على معسكره عتاب بن ورقاء وأمره بطاعة المهلب، فأجاب لذلك وفي نفسه منه شيء، وعاتبه المهلب يوماً ورفع إليه القضيب، فرده إبنه المغيرة عن ذلك. وكتب عتاب يشكو المهلب إلى الحجّاج ويسأله العود، وصادف ذلك أمر شبيب فاستقدمه وبقي المهلب.

حروب الصفرية وشبيب مع الحجاج:

ثم خرج صالح بن مسرح التميمي من بني امرىء القيس بن زيد مناة وكان يرى رأي الصفرية، وكان عابداً ومسكنه أرض الموصل والجزيرة، وله أصحاب يقرئهم القرآن والفقه. وكان يأتي الكوفة ويلقى أصحابه، ويعد ما يحتاج إليه. فطلبه الحجاج فترك الكوفة، وجاء إلى أصحابه بالموصل، ودار فدعاهم إلى الخروج وحثه عليه. وجاءه كتاب شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني من رؤوسهم يحثه على مثل ذلك. فكتب إليه: إني في انتظارك فأقدم. فقدم شبيب في نفر من أصحابه منهم أخوه المضاد، والمحلل بن وائل اليشكري ولقيه بدارا، وأجمع صالح الخروج. وبعث إلى أصحابه وخرجوا في صفر سنة ست وسبعين. وأمر بالدعاء قبل القتال وخير في الدماء والأموال. وعرضت له دواب لمحمد بن مروان بالجزيرة، فأخذوها وحملوا عليها أصحابهم.

وبلغ محمد بن مروان وهو أمير الجزيرة خروجهم، فسرح إليهم عدي بن عدي الكندي في ألف، فسار من حّران، وكان ناسكاً فكره حروبهم، وبعث إليهم بالخروج، فحبسوا الرسول. فساروا إليه فطلعوا عليه وهو يصلي الضحى، وشبيب في الميمنة، وسويد بن سليم في الميسرة. وركب عدي على غير تعبية فانهزم، واحتوى الخوارج على معسكره ومضوا إلى آمد. وسرح محمد بن مروان خالد بن حر السلمي في ألف وخمسمائة، والحرث بن جعونة العامري في مثلها وقال : أيكما سبق فهو أمير على صاحبه.

وبعث صالح شبيباً إلى الحـرث، وتـوجه هـو نحـو خالـد وقـاتلوهم أشـد القتال. واعتصم أصحاب محمد بخندقهم، فسارت الخوارج عنهـم، وقطعـوا أرض الجزيرة والموصل إلى الدسـكرة. فسـرح إليهـم الحجّـاج الحـرث بـن عميرة بن ذي الشعار في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة، فلقيهم على تخـم مـا بين الموصل وصرصر، والخوارج في تسعين رجلاً. فانهزم سويد بن سـليم، وقتل صالح، وصرع شبيب. ثم وقـف علـى صـالح قـتيلاً فنـادى بالمسـلمين فلاذوا به، ودخلوا حصناً هنالك، وهـم سـبعون. وعـاث الحـرث بهـم وأحـرق عليهم الباب، ورجع حتى يصبحهم من الغداة. فقال لهم شـبيب. بـايعوا مـن شئتم من أصحابكم واخرجوا بنا إليهـم. فبـايعوه وأطفـؤوا النـار بالمـاء فـي اللبود، وخرجوا إليه فبيتوا، وسرح الحـرث فحملـوا علـى أصـحابه وانهزمـوا نحو المدائن، وحوى شبيب عسكرهم.

وسار شبيب إلى أرض الموصل فلقي سـلامة بـن سـنان التميمـي مـن تميم شيبان، أوخاه فضالة من أكابر الخـوارج. وكـان خـرج قبـل صـالح فـي ثمانية عشر رجلاً ونزل على ماء لبني عنزة فقتلـوهم وأتـوا برؤوسـهم إلـى عَبْد الملك يتقربون له بهم. فلما دعا شبيب سلامة إلى الخروج شرط عليـه أن ينتخب ثلاثين فارساً ويسـير بهـم إلـى عنـزة. فيثـأر منهـم بـأخيه، فقبـل شرطه. وسار إلى عنزة فأثخن فيهم، وجعل يقتل الحلة بعد الحلة. ثم أقبل شبيب إلى داران في نحو سبعين رجلاً ففرت منهم طائفة مـن بنـي شـيبان نحو ثلاثة آلاف، فنزلوا ديراً خراباً وامتنعـوا منـه وسـار فـي بعـض حاجـاته، واستخلف أخاه مضاد بن يزيد بجماعة من بني شيبان في أموالهم مقيمـين، فقتل منهم ثلاثين شيخاً، فيهم حوثرة بـن أسـد. وأشـرف بنـو شـيبان علـى مضاد وأصحابه، وسألوا الأمان ليخرجوا إليهـم ويسـمعوا دعـوتهم فـأخرجوا وقبلوا، ونزلوا إليهم واجتمعوا بهم. وجاء شـبيب فاستصـوب فعلهـم. وصـار بطائفة نحوأذربيجان.

وكان الحجّاج قد بعث سفيان بن أبي العاليـة الخثعمـي إلـى طبرسـتان يحاصـرها فـي ألـف فـارس، وكتـب إليـه الحجّـاج أن يرجـع. فصـالح أهـل طبرستان، ورجع فأقام بالدسكرة يطلب المـدد، وبعـث الحجّـاج أيضـاً إلـى الحرث بن عميرة الهمداني قاتل صالح أن يـأتيه بجيـش الكوفـة والمـدائن، وإلى سورة

ابن أبجر التميمي في خيل المناظر. ويعجل سفيان في طلب شبيب، فلحقه بخانقين، فاستطردهم وأكمن كميناً لهم مع أخيه، واتبعوه في سفح الجبل فخرج عليهم الكمين فانهزموا بغير قتال، وثبت سفيان وقاتل. ثم حمل شبيب فانكشف ونجا إلى بابل مهرود، وكتب إلى الحجّاج بالخبر وبوصول العساكر إلا سورة بن أبجر. فكتب الحجّاج إلى سورة يتهدده ويأمره أن يتخذ من المدائن خمسمائة

فارس، ويسير إلى شبيب فسار. وانتهى شبيب إلى المدائن ثم إلى الهندوان، فترحم على أصحابه هنالك. وبيتهم سورة هنالك وهم حذرون فلم يصب منهم الغرة. ورجع نحو المدائن وشبيب في اتباعه.

وخرج ابن أبي العصفي عامل المدائن فقاتلهم، وهرب كثير من جنده إلى الكوفة، ومضى شبيب إلى تكريت. ووصل سورة إلى الكوفة بالغل، فحبسه الحجّاج ثم أطلقه. وسرح عثمان بن سعيد بن شرحيل الكندي ويلقب الجزل، في أربعة آلاف ليس فيهم من المنهزمين أحد، وساروا لحرب شبيب وأصحابه. وقدم بين يديه عياض بن أبي لبنة الكندي وجعلوا يتبعون شبيباً من رستاق إلى رستاق وهو على غير تعبية، والجزل على التعبية، ويخندق على نفسه متى نزل. وطال ذلك على شبيب، وكان في مائة وستين، فقسمه على أربع فرق وثبت الجزل ومشايخه فلم يصب منهم فرجع عنهم. ثم صحبهم ثانية فلم يظفر منهم بشيء.

وسار الجزل في التعبية كما كان وشبيب يسير في أرض الخوارج وغيرها يكسب الخراج وكتب الحجاج إلى الجزل ينكر عليه البطء ، ويأمره بالمناهضة. وبعث سعيد بن المجالدي على جيش الجزل فجاءهم بالهندوان ووبخهم وعجزهم. وجاءهم الخبر بأن شبيباً قد دخل قطيطيا والدهقان يصلح لهم الغداء، فنهض سعيد في الناس وترك الجزل مع العسكر وقد صف بهم خارج الخندق. وجاء سعيد إلى قطيطيا وعلم به شبيب، فأكل وتوضأ وصلى. وخرج فحمل على سعيد وأصحابه مستعرضاً فانهزموا وثبت سعيد فقتله وسار في اتباعهم إلى الجزل، فقاتلهم الجزل حتى وقع بين القتلى جريحاً. وكتب إلى الحجّاج بالخبر وأقام بالمدائن. وانتهى شبيب إلى الكرخ وعبر دجلة إليه، وأرسل إلى سوق بغداد فأتاهم في يوم سوقهم

واشترى منه حاجاته، وسار إلى الكوفة فلما قرب منها بعث الحجّاج سويد بن عَبْد الرحمن السعدي في ألفي رجل، فساروا إلى شبيب. وأمر عثمان بن قطن فعسكر في السبخة. وخالفه شبيب إلى أهل السبخة فقاتلوه. وجاء سويد في آثاره فمضى نحو الحيرة وسويد في إتباعه. ثم رحل من الحيرة وجاء كتاب الحجّاج إلى سويد يأمره باتباعه. فمضى في إتيانه وشبيب يغير في طريقه. وأخذ على القطقطاتة، ثم على قصر بني مقاتل، ثم على الأنبار ثم ارتفع على أدنى أذربيجان- ولما أبعد سار الحجّاج إلى البصرة، واستعمل على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة، فجاءه كتاب دهقان بابل مهرود يخبره بقصد شبيب الكوفة، فبعث بالكتاب إلى الحجّاج.

وأقبل شبيب حتى نزل عَقَرقوبا، ونزل وسار منها يسابق الحجاج إلى الكوفة. وطوى الحجّاج المنازل فوصل الكوفة عند العصر ووصل شبيب عند المغرب. فأراح وطعموا، ثم ركبوا ودخلوا إلى السوق. وضرب شبيب القصر بعموده. ثم اقتحموا المسجد الأعظم فقتلوا فيه من الصالحين، ومروا بدار صاحب الشرطة فدعوه إلى الأمير ونكرهم، فقتلوا غلامه. ومروا بمسجد بني ذهل فقتلوا ذهل بن الحرث، وكان يطيل الصلاة فيه. ثم خرجوا من الكوفة واستقبلهم النضر بن القعقاع بن شور الذهلي، وكان ممن أقبل مع الحجّاج من البصرة، فتخفف عنه. فلما رآه قال: السلام عليك أيها الأمير، فقال له شبيب: قل أمير المؤمنين ويلك، فقالها. وأراد شبيب أن يلقنه للقرابة بينهما. وكان النضر ناحية بيت هانىء بن قبيصة الشيباني، فقال له: يا نضر لا حكم إلا لله، ففطن بهم وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وشدّ عليه أصحاب شبيب فقتلوه.ونادى منادي الحجّاج بالكوفة يا خيل الله اركبي وهو بباب القصر، وكان أول من أتاه عثمان بن قطن بن عَبْد الله بن الحسين ذي القصة. ثم جاء الناس من كل جانب، فبعث الحجّاج خالد بن الأسدي وزائدة بن قُدامة الثقفي وأبا الضريس مولى بني تميم، وعبد الأعلى بن عَبْد الله بن عامر، وزياد بن عَبْد الله العتكي في ألفين ألفين وقال: إن كان حرب فأميركم زائدة بن قدامة. وبعث معهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله م ن سجستان، وكان عَبْد الملك قد ولاّه عليها، وأمر الحجّاج أن

يجهزه ويبعثه في آلاف من الجنود إلى عمله، فجهّزه وحدث أمر شبيب. فقال له الحجّاج، تجاهد ويظهر إسمك ثم نمضي إلى عملك، فساروا جميعاً ونزلوا أسفل الفرات. وأخذ شبيب نحو القادسية وجرد الحجّاج ألفاً وثمانمائة من نقاوة الجند مع ذخر بن قبس، وأمره بمواقعة شبيب أينما أدركه، وإن ذهب فاتركه. فأدركه بالسلخين، وعطف عليه شبيب، فقاتل ذخر حتى صرع وفيه بضعة عشر جرحاً. وانهزم أصحابه يظنون أنه قتل. ثم أفاق من برد السحر، فدخل قرية وسار إلى الكوفة. ثم قصد شبيب وأعوانه وهم على أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة، فقال: إن هزمناهم فليس دون الحجاج والكوفة مانع. وانتهى إليهم وقد تعبوا للحرب وعلى الميمنة زياد بن عمر العتكي، وعلى الميسرة بشر بن غالب الأسدي، وكل أمير بمكانه. وعبى شبيب أصحابه ثلاثة كتائب، فحمل سويد بن سليم على زياد بن عمر فانكشفوا، وثبت زياد قليلاً ثم حمل الثانية فانهزموا، وانهزم جريحاً عند المساء. ثم حملوا على عَبْد الأعلى بن عَبْد الله بن عامر فانهزم ولم يقاتل ولحق بزياد بن عمر، وحملت الخوارج حتى انتهت إلى محمد بن موسى بن طلحة عند الغروب، فقاتلوه وصبر لهم. ثم حمل مضاد أخو شبيب على بشر بن غالب في الميسرة فصبر ونزل في خمسين رجلاً فقاتلوه حتى قتلوا، وحملت الخوارج على أبي الضريس مولى بني تميم فهزموه حتى انتهى إلى أعين، ثم حملوا عليه وعلى أعين فهزموهما إلى زائدة بن قدامة. فلما انتهوا إليه نادى نزال وقاتلهم إلى السحر، ثم حمل شبيب عليه فقتله وقتل أصحابه، ودخل أبو الضريس مع الفل إلى الجوسق بازائهم. ورفع الخوارج عنهم السيف ودعوهم إلى البيعة لشبيب عند الفجر فبايعوه، وكان فيمن بايعه أبو بردة وبقي محمد بن موسى لم ينهزم، فلما طلع الفجر سمع شبيب أذانهم وعلم مكانهم فأذن وصلّى، ثم حمل عليهم فانهزمت طائفة منهم وثبتت أخرى، وقاتل محمد حتى قتل. وأخذ الخوارج ما في العسكر وانهزم الذين بايعوا شبيباً فلم يبق منهم أحد، وجاء شبيب إلى الجوسق الذي فيه أعين وأبو الضريس فتحصنوا منه، فأقام يوماً عليهم وسار عنهم، وأراده أصحابه على

الكوفة وإزاءهم خوخى فتركها وخرج على نفر. وسمع الحجّاج بذلك فظن أنه يريد المدائن وهي باب الكوفة وأكثر السواد لها فهاله ذلك وبعث عثمان بن قطن أميراً على المدائن وخوخى والأنبار، وعزل منها عَبْد اللـه بـن أبـي عصيفير. وقيل في مقتل محمد بن موسى غير هذا وهو أنـه كـان شـهد مـع عمر بن عَبْد الله بن معمر قتال أبي فديك، فزوجه عمـر ابنتـه وكـانت أختـه تحت عَبْد الملك، فولاّه سجستان فمر بالكوفـة وقيـل للحجّـاج إن جـاء إلـى هذا أحد ممن تطلبه منعك منه، فمره بقتـال شـبيب فـي طريقـه لعـل اللـه يريحك منه، ففعل الحجّاج وعدل محمد إلى قتال شبيب، وبعث إليه لشـيب بدهاء الحجّاج وخـديعته إيـاه وأن يعـدل عنـه فـأبى إلا شـبيباً فبـارزه وقتلـه شبيب، ولما انهزم الأمراء وقتل موسى بن محمد بن طلحة دعا الحجّاج عَبْد الرحمن بن الأشعث، وأمره أن ينتخب ستة آلاف فارس ويسـير فـي طلـب شبيب أين كان، فسار لذلك. ثم كتب إليه وإلى أصحابه يتهدّدهم إن انهزموا ومرّ ابن الأشعث بالمدائن وعاد الجزل من جراحته، فوصّاه وحـذره وحملـه على فرسه وكانت لا تجارى. وسـار لشـبيب علـى دقوقـا وشـهرزور، وابـن الأشـعث فـي إتبـاعه إلـى أن وقـف علـى أرض الموصـل، وأقـام يقـاتله أهلها.فكتب إليه الحجاج: أمَّا بعد فاطلب شبيباً وأسلك في أثـره أيـن سـلك حتى تدركه فاقتله أو تنفيه، فإنما السلطان سلطان أميـر المـؤمنين والجنـد جنده. فجعل ابن الأشعث يتبعه وشبيب يقصد بـه الأرض الخشـنة الغليظـة، وإذا دنا منه رجع يبيته فيجده على حذره حق أتعب الجيـش وأحفـى دوائهـم ونزل بطن أرض الموصل، ليس بينه وبيـن سـواد إلا نهـر حولايـا فـي دادان الأعلى من الأرض خوخى. ونزل عَبْد الرحمن في عواقيل النهر وكانت أيـام النحر، وطلب شبيب الموادعة فيها فأجابه قصداً للمطاولـة. وكتـب عثمـان بن قَطَن بذلك إلى الحجّاج فنكر، وبعث إلى عثمان بن قَطَن بإمارة العسكر وأمره بالمسـير، وعـزل عَبْـد الرحمـن بـن الأشـعث. وبعـث علـى المـدائن مُطَرَّف بن المغيرة مكان ابن قَطَن، وقدم ابن قَطَـن علـى عسـكر الكوفـة عشية يوم التروية وناداهم إلى الحرب فاستمهلوه وأنزله عَبْـد الرحمـن بـن الأشعث.وأصبحوا إلى القتال ثالث يومهم على تعبية، وفي الميمنة خالد بـن نَهيك بن قَيْس، وفي الميسرة عقيـل بـن شـدّاد السَّـلُولِيّ وابـن قَطَـن فـي الرجالة

وعبر إليهم شبيب في مائة وثلاثين رجلاً فوقف في الميمنة وأخوه مضاد في القلب وسُوَيْد بن سليم في الميسرة، وحمل شبيب على ميسرة عثمان بن قَطَن فانهزموا، ونزل عَقِيل بن شدّاد فقاتل حتى قتل، وفتل معه مالك بن عَبْد الله الهَمْدَاني. وحمل سُوَيْد على ميمنة عثمان فهزمها، وقاتل خالد بن نَهيك، فجاء شبيب من ورائه فقتله، وَتقدم عثمان إلى مضاد في القلب فاشتدّ القتال وحمل شبيب من وراء عثمان وعطف عليه سويد بن سليم ومضاد من القلب حتى أحاطوا به فقتلوه. وانهزمت العساكر ووقع عَبْد الرحمن بن الأشعث، فأتاه ابن أبي شَثْبَة الجُعْفي وهو على بغلة فأردفه ونادى في الناس باللحاق بدير أبي مريم.ورفع شبيب السيف عن الناس ودعاهم إلى البيعة فبايعوه، ولحق ابن الأشعث بالكوفة فاختفى حتى أمنه الحجّاج. ومضى شبيب إلى ماه نهرادان فأقام فيه فصل الصيف، فلحق به من كان للحجّاج عليه تبعة. ثم أقبل إلى المدائن في ثمانمائة رجل، وعليها مُطَّرف بن المُغِيَرة. وبلغ الخبر إلى الحجّاج فقام في الناس وتسخط وتوعد. فقال زُهْرَة بن حَوِيَّة وهو شيخ كبير لا يستطيع القيام إلا معتمداً: أنت تبعث الناس متقطعين فيصيبون منهم فاستنفر الناس جميعاً وابعث عليهم رجلاً شجاعاً مجّرباً، يرى الفرار عاراً والصبر مجداً وكرماً . فقال الحجّاج: أنت ذلك الرجل ! فقال: إنما يصلح من يحمل الدرع والرمح ويهز السيف ويثبت على الفرس، ولا أطيق من هذا شيئاً، وقد ضعف بصري، ولكن أكون مع أمير وأشير عليه. فقال له: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله أول أمرك وآخره.ثم قال للناس: سيروا فتجهّزوا بأجمعكم، فتجهزوا وكتب الحجّاج إلى عَبْد الملك بأن شبيباً شارف المدائن يريد الكوفة، وهم عاجزون عن قتاله بما هزم جندهم وقتل أمراءهم، ويستمده من جند الشام، فبعث إليه عَبْد الملك سفيان بن الأبرد الكلبي في أربعة آلاف، وحبيب بن عَبْد الرحمن الحكمي في ألفين، وذلك سنة ست وسبعين.

وكتب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء الرياحي يستقدمه من عند المهلب، وقد وقع بينهما كما مر فقدم عتاب وولاه على الجيش، فشكر زهرة بن حوية له وقال: رميتهم بحجرهم، والله لا يرجع إليك حتى يظفر أو يقتل. وبعث الحجاج إلى جند الشام يحذرهم البيات ويوصيهم

الاحتياط، وأن يأتوا على عين التمر. وعسكر عتاب بجماع أعين، ثم قطع شبيب دجلة إلى المدائن، وبعث إليه مطرف أن يأتيه رجال من وجوههم ينظر في دعوتهم، فرجا منه وبعث إليه بغيث بن سويد في جماعة مكثوا عنده أربعاً ولم يرجعوا من مطرف بشيء ونزل عتاب الصراة وخرج مطرف إلى الجبال خوفاً أن يصل خبره مع شبيب إلى الحجاج.

فخلا لهم الجو، وجاء مضاد إلى المدائن فعقد الجسر ونزل عتاب سوق حكم في خمسين ألفاً. وسار شبيب بأصحابه في ألف رجل، فصلى الظهر بساباط وأشرف على معسكر عتاب عند المغرب، وقد تخلف عنه أربعمائة من أصحابه، فصلى المغرب وعبى أصحابه ستمائة سويد بن سليم في مائتين في الميسرة، والمحفل بن وائل في مائتين في الميمنة، وهو في مائتين في القلب. وكان على ميمنة عتاب محمد بن عَبْد الرحمن بن سعيد، وعلى ميسرته نعيم بن عليم، وعلى الرجالة حنظلة بن الحرث اليربوعى وهو ابن عمه، وهم ثلاثة صفوف بين السيوف والرماح والرماة.

ثم حرض الناس طويلاً وجلس في القلب ومعه زهرة بن مرتد، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وأبو بكر بن محمد بن أبي جهم العدوي. وأقبل شبيب حين أضاء القمر بين العشاءين فحمل على الميسرة وفيها ربيعة فانفضوا وثبت قبيصة بن والق وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم على رايتهم حتى قتلوا. ثم حمل شبيب على عتاب بن ورقاء وحمل سويد بن سليم على محمد بن سليم في الميمنة في تميم وهمذان. واشتد القتال وخالط شبيب القلب، وانفضوا وتركوا عتاباً وفر ابن الأشعث في ناس كثيرين، وقتل عتاب بن ورقاء وركب زهرة بن حوية فقاتل ساعة ثم طعنه عامر بن عمر الثعلبي من الخوارج، ووطأته الخيل فقتله الفضل بن عامر الشيباني منهم، ووقف عليه شبيب. وتوجع له ونكر الخوارج ذلك وقالوا أتتوجع لرجل كافر؟ فقال اعرف قديمه.

ثم رفع السيف عن الناس ودعا للبيعة فبايعوه وهربوا تحت ليلهم وحوى ما في العسكر، وأتاه أخوه من المدائن وأقام يومين. ثم سار نحو الكوفة، ولحق سفيان بن الأبرد وعسكر الشام بالحجاج، فاستغنى بهم عن أهل الكوفة واشتد بهم وخطب، فوبخ أهل الكوفة